

أنيس منصور

العثرة العفراة



دار الشروق

APPROVED

آنيس منصور

لعنة الفرعنة
و
شئ وراء العقل

دار الشروق



سلسلة جدران المعرفة

تحتوى السلسلة الثانية على (١١) كتاب جداد ، يطرحوا لأول مرة فى ثوب إلكترونى لكبار المثقفين والأدباء. بالإضافة الى مجموعة من المقالات المختارة من بعض الكتب القيمة. (تجدون فهرس الكتب الصادرة فى آخر الكتاب. أضغط على مفتاح end على يمين الكيبورد) .

أما عن فهرس الكتاب نفسه ، فهو أعلى اليسار فى البرنامج (book marks) .

* كما أننا نوجه شكر خاص الى كل من ساعدنى وأرسل لى اقتراح او نقد أو تشجيع ، سوء من خلال الايميل او على صفحات المنتديات أو من خلال الرسائل الخاصة أو على الماسنجر حقيقى ، كنتم نعم العون ، ومنتظر منكم المزيد 🌸

واخيراً ، نحب أن نعلمكم ، اذا كان أى شخص لديه القدرة على المساعدة المادية البسيطة جداً جداً فى هذا المشروع حتى يكون متجدد باستمرار ، ولا يتوقف ، يتفضل بمراسلتنا ... لمزيد من التفاصيل :

theknowledge_walls@yahoo.com

مع تحيات

Jgm

مقدمة

كنت في هونج كونج . وصلت متأخراً من أستراليا . لا أعرف أحداً ولا أنتظر أحداً . وكل ما أعرفه عن هذه الجزيرة هو ما قرأت عنها . وفي جيبي ورقة عليها اسم أحد الفنادق . ذهبت إليه وسألت إن كانت لي غرفة . فقيل : لا لا . . فتساءلت : كيف . لقد حجزت غرفة من أستراليا . وجاءني الرد بأن الغرفة في انتظاري . وقد جئت بعد موعدى بساعتين فقط . . لا توجد غرفة .

هل تنصحون بأن أذهب إلى فندق آخر تعرفونه . . أو تربطكم به صلة عمل . امتدت الأيدي الصينية القصيرة تشير إلى فندق على الناحية الأخرى من الشارع . . اتجهت إلى حيث كلمة «فندق» . . وصعدت السلم . وأشاروا إلى غرفة مفتوحة . ودخلت . وألقيت متاعى . وارتميت على السرير . ونمت . وعند منتصف الليل صحوت على ضوضاء كثيرة وعلى باب غرفتي الذى انفتح . وقد رأيت كلباً صغيراً نائماً على حقيبتى . إنه يشبه الكلاب الفرعونية التى فى حراسة المعابد . . أو فى حراسة الروح فى طريقها من الأرض إلى السماء .

ولم أصدق أن الذى أراه حقيقة . . وإنما تخيلت أننى أحلم . . فاستدرت
لأكمل النوم لولا أننى أدركت أنى قد صحوت من النوم فعلاً . ولم أجد
الكلب . وضحكت . ونظرت فى الساعة ووجدت الليل قد انتصف .
ونفضت وأقفلت الباب . ثم عدت أفتحه وأخرج لأسأل عن اسم الفندق
الذى نزلت به .

وعرفت من وجه موظفى استعلامات الفندق أن هذا ليس فندقاً بالمعنى
المألوف . . ولا هو كباريه خاص . . وإنما هو فندق يعمل لحساب أحد
الكباريات وأن الرجل تحت أمرى . . وكل ما أفعله هو أن أشير بأصبعى
لأختار ما يعجبنى من أى شىء . .
آه . فهمت . .

ودفعت أجر المبيت . وسألته إن كان يعرف أحد الفنادق . فhez رأسه أن
إحدى قريباته تعمل فى فندق مجاور . وذهبت وعرفت اسم الفندق .
ووجدت أن اسمه « فندق كارترفون » - وكارترفون هذا هو اسم الرجل الذى
اكتشف مقبرة توت عنخ آمون . . إنجليزى وهونج كونج هذه مستعمرة
بريطانية . . فهذا الفندق له صلة بمصر . فأنا لست بعيداً عن مصر . .
صحيح إن طريقى إلى مصر ما يزال طويلاً . . فبعد هونج كونج سأسافر إلى
اليابان ومنها إلى جزر هاواى ثم إلى أمريكا ثم إلى أوروبا ثم إلى مصر لأكمل
رحلتى التى استغرقت ٢٠٠ يوم حول العالم بلا توقف . . ولكن هذا الفندق له
اسم قريب من مصر . . أو هو قريب من مصر . .

ودخلت الغرفة وأقفلت الباب بالفتاح . . فهذه جزيئة الخطف والنصب
والاحتيال والغموض - وكل الأقلام تؤكد ذلك . . ولا أعرف كيف جاء النوم

بسرعة ولكنه جاء . ومع الكثير من الراحة التامة بجسمى ونفسى لولا أننى لاحظت نوعاً من البرد الخفيف بدأ يلسع أنفى . وواجهته بما يستحقه من الأسبرين والفيتامينات . . واختفت هذه اللسعة من الأنف والحلق . وحدث الله أنه لا الزكام ولا اللصوص تسللوا إلى غرفتى . . وضحكت من فكرة أن يتسلل اللصوص إلى غرفتى . . ولو فعلوا لخاب أملهم تماماً فليس عندى ما يغرى أحداً بأن يسرق شيئاً . لا شيء . ولو كان عندى شيء ما سافرت هذه المسافات الطويلة . فكل ما معى من فلوس أحوله بسرعة إلى تذاكر طائرات . .

ومضى يومان . وفى اليوم الثالث ركبت الطائرة إلى طوكيو . وفى الطائرة زارتنى فكرة مقلقة . لقد تذكرت أن حقيبتى ربما لم تكن هى . . ربما هى حقيبة مشابهة ولا أعرف كيف جاءتنى هذه الفكرة وأنا فوق السحاب . . هل جاء ذلك بسبب أن الطائرة قد دخلت منطقة إعصار . . مركز إعصار عنيف اسمه « دينا » ولذلك أخذت تهتز بعنف وتهبط وتعلو والناس الصينيون واليابانيون من حولى ازدادوا اصفراراً . . ولكن انشغلت بهذه الفكرة من كل لون السحب الذى يتكوم على شكل رغاوى الصابون . . ثم رغاوى الجير . . ثم تنفجر السحب على شكل برق وحرارة خارج الطائرة . . وفزع وصراخ داخل الطائرة . . ولكن هذه الفكرة جاءتنى مثل طوق نجاه فقد تعلقت بهذه الفكرة واستغرقتنى تماماً . فلم أعد أفكر فى هذا الذى يحترق خارج الطائرة . . وفجأة أدركت أن هذه الفكرة تشبه طوق نجاه من المطاط وقد امتلأ بالبنزين . . وأنه لن يمضى وقت طويل حتى ينفجر طوق النجاة . . ولا نجاة !

شئ غريب . . ثم تذكرت الكلب الذى نام على حقيبتى . صور

غريبة متتابة . أو هلوسة متواصلة . ونظرت إلى الطعام أمامى والشراب . ولم أجد أية علاقة بين هذا الهذيان وبين الطعام .

وفي مطار طوكيو تأكدت أن هذه الحقيبة ليست لى . إنها شبيهه بها تماماً . وأمام موظفى الجمارك فتحت الحقيبة . ووجدت أنها قد امتلأت بملابس الأطفال الصغيرة . وقبل أن أفتح فمى بكلمة ، أقفل موظف الجمرک الحقيبة وأشار أن أحملها وحملتها إلى خارج المطار . وفي فندق « دايتشى » بطوكيو فتحتها لأجدها قد امتلأت بملابس أطفال وأحذيتهم . . ومعنى ذلك أننى الآن فى طوكيو بلا مندیل ولا جورب ولا بیجاما ولا موس حلاقة ولا كتب ولا مذكرات !

وكل ما جاء فى رأسى : أنها صدفة سخيفة . . ومقلب غير مقصود . . وبضعة مئات من الدولارات أشتري بها بعض الملابس ، وكما هى عادتى ، فإننى ألقى بالملابس فى الطريق بعد استخدامها بعض الوقت حتى تكون حقيبتى خفيفة . - إنها عادة سيئة ! فأنا أكره أن تكون الحقيبة خالية من الكتب أو مليئة بالملابس !

وفي نهاية رحلتى ذهبت إلى إيطاليا سعيداً بالراحة الهانئة التى سوف أحصل عليها : فقط أن أرمى على أى فراش وأغلق الباب والشباك وأنام . . فقط أن أنام . فقد تعبت من السفر أكثر من ٢٢٣ يوماً حول الكرة الأرضية بلا توقف . واخترت من المدن الإيطالية مدينة رابالو على الريفيرا الإيطالية . المدينة جميلة أنيقة رشيقة . هادئة . وأكثر سياحها من الإنجليز والألمان . وفى القطار وجدت اسم فندق صغير «توتى توت» . . اسم عجيب . ولكن أسعار معقولة . وذهبت إليه . ووجدت صاحبة الفندق سيدة ضخمة . ووجدتها

ضاحكة من غير مناسبة ، ككل الإيطاليين . فقالت : آه جائع !

قلت : جدًا

قالت : من أين ؟

قلت : من أمريكا

قالت : أنت أمريكي . . لا أظن ذلك !

قلت : قادم من أمريكا . . أنا مصرى . .

قالت : إذن أنت جائع جدًا . .

قلت : جائع إلى النوم . في عرضك . . أية غرفة . وأقفلها بالمسامير . .

تماماً كأنك تضعينني في تابوت . . كأى ميت فرعونى .

ولم تتوقف السيدة عن الضحك . .

وفي الصباح عرفت أن الفندق اسمه « توت عنخ آمون » . ولكن على

طريقة الإيطاليين في تدليل الأسماء جعلوا اسمه « توتى - توت » أى كل شيء

لتوت عنخ آمون . .

صدفة غريبة . أن أنزل في فندق مكتشف توت عنخ آمون في هونج

كونج . . ثم في فندق يحمل اسم جلالته على الريفيرا الإيطالية .

وتضايقت من إحساسى بأننى مشتاق تماماً إلى مصر بهذه السرعة . . أو

إلى أى شيء له صلة بمصر . فكل الذى يهمنى هو أن أنام بعض الوقت قبل

أن أعود إلى مصر . . بعض الوقت !

وأنا لا أعرف السباحة . .

وركبت زورقاً مع بعض الأصدقاء . واهتز الزورق وسقطت في الماء . . في نفس المكان الذي غرق فيه الشاعر الإنجليزي شيللى . . ولم يكن الماء عميقاً . ولا أعرف كيف غرق الشاعر لابد أنه كان مخموراً . . وعندما أخرجونى من الماء اصطدمت ذراعى بالزورق فنزف دمي . . وعدت إلى الفندق مجروحاً مزكوما . .

وحان موعد السفر . .

ولا أعرف بالضبط ما الذى حدث لقد اشتعلت النار في غرفتى . . كيف؟ واحترقت الستائر . . وحقيبتى . ولقيت كل الغرفة كما هى . وجاءت صاحبة الفندق لتضرب كفاً بكف وتقول : كيف ؟

فقلت : لا أعرف . . ولكن الجدران لم يصيبها شيء . . ولا الفراش . . ولا السرير . . ولا ورق الصحف . . ولا أثر لكهرباء في الجدار الخشبي . .

ولم أفكر طويلاً . فقد كنت مشغولاً بالسفر إلى روما . . وكلها بضعة أيام وأعود إلى مصر . . وفي القطار فتحت حقيبتى لأصرخ : إنها ليست حقيبتى ! وكان القطار قد تحرك . .

فقط هنا خطر لى أنها « لعبة » الفراعنة . . أو « لعنة الفراعنة » . ولم أكن أعرف في ذلك الوقت ما الذى كنا نقصده عندما نذكر هذا التعبير ؟ أى ما الذى يحدث لأى إنسان عندما يكون له أية صلة بالفراعنة ؟ ثم ما هى صلتى بالفراعنة ؟ وهل حدث نفس الشيء لأصحاب فندق هونج كونج أو فندق راي يو . . ثم هل حدث نفس الشيء لكل النزلاء ؟ أو أن الفراعنة يخلصون بمداعبتهم المصريين فقط ؟ ثم من هم هؤلاء الفراعنة الذين يفعلون ذلك ؟

هل هى أرواحهم تطارد الناس فى كل مكان؟ ثم ما هى لعنة الفراعنة التى أصابت مصر فى كل العصور ، فنحن فراعنة ، ونعيش حول قبورهم وبين أرواحهم؟

وتذكرت أن هذا التعبير « لعنة الفراعنة » لم يظهر على الأقلام إلا بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ! فقد مات جميع الذين عملوا فى حفر قبر توت عنخ آمون على أشكال غريبة - أى كان موتهم غريباً عجيباً . . حدث ذلك لجميع العمال والمهندسين والأثريين والأطباء - جميعاً دون استثناء !

ولم يتنبه الذين اكتشفوا المقبرة إلى تلك العبارة المكتوبة عند مدخل غرفة الملك والتى تقول : إن الموت يضرب بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك !

فلم ينبج أحد من ضربة هذين الجناحين . لا أحد . .

واختلف العلماء فى تفسير معنى اللعنة . .

ولأظن أحداً قد استطاع - فى جو ورقة علمية - أن يناقش قصة اللعنة كما فعل الكاتب الألمانى فيليب فاندنبرج فى كتابه المشهور « لعنة الفراعنة » . فقد قرأ الكثير من الدراسات المعاصرة . وتعمقها . ثم عرضها فى عبارة جميلة .

وتساءل : هل اللعنة هى إشعاع ذرى أو استخدام الفراعنة للمواد المشعة التى يتعرض لها كل من فتح المقبرة؟

هل اللعنة نوع من الغازات السامة تخرج من الأعشاب والخشب عند فتح المقبرة؟

هل هى نوع من النظريات تلاحق كل من اكتشف المقبرة أو لعب فى

الخشب - لقد حدث ذلك لإناس كثيرين . .

هل اللعنة مجرد صدفة - أى أن يموت الإنسان في نفس الوقت الذى يجيء مع انحطاط حالة « الإيقاع الحيوى » وهى نظرية سوف نجدها في الفصول التالية ؟

هل الخفافيش في الدهاليز والمقابر لها دخل فيما يصيب الناس بالهذيان حتى الموت ؟ لقد حدث ذلك كثيراً جداً !

هل هذا خاص فقط بتوت عنخ آمون ، دون لعنة الفراعنة ؟

هل لصوص المقابر من الأجانب الذين ماتوا في ظروف غامضة قد أصابهم التراب الذرى أو السم النباتى ؟

إذن كيف نفسر أنه حيث توجد مومياء فرعونية في أى مكان فلا بد من كارثة تحل بهذا المكان . . إن أعظم باخرة أنشأها الإنسان واسمها تيتانيك اصطدمت بجبل من الجليد وغرقت ، لأن بها مومياء فرعونية مسروقة ؟

ثم ما هذا الذى أصاب العلماء والأطباء المصريين الواحد وراء الآخر ؟

ثم ما الذى ينتظر الأطباء والعلماء المصريين والفرنسيين الذين فتحوا مومياء رمسيس الثانى في مصر وفي باريس ليعرفوا أسباب وفاته ، وإن كان هو فرعون الذى أخرج اليهود من مصر ؟ .

ثم إن عدداً كبيراً من العلماء يؤمن بأن هناك شيئاً ما « في داخل الأهرام والمقابر الفرعونية جميعاً ، يضر بصحة الإنسان » . ولكن ما هو هذا « الشيء » لا أحد يعرف . . إن خروتشيف تلقى برقية من موسكو تحذره من دخول الهرم ، ولم يدخل الهرم في آخر لحظة . ولهذا السبب !

إن الفراعنة لم تنته أسرارهم بعد . إنهم تركوا الكثير في كل العلوم . إنهم اهتموا إلى سر المادة وسر الكون . وفي استطاعتك أن تشبع رغبتك في مزيد من المعرفة إذا رجعت إلى كتابين لى هما : الذين هبطوا من السماء والذين عادوا إلى السماء . . فقد عاودت مناقشة هذه القضية الغريبة العجيبة . وسوف تظل كذلك إلى أن نعرف لها تفسيراً علمياً أو أكثر من تفسير علمى . المهم أن تدخل في نطاق العلم الإنسانى

وفي نفس الوقت الذى يؤمن بعض الباحثين بأن هناك قوة ما ، خارج الإنسان تستطيع أن تتسلط عليه . . أو توجهه أو تحرك حياته ، فإن عدداً آخر يرى أن القوة هذه فى أعماق الإنسان . . ففى داخل الإنسان كل القوى . . بل إن الإنسان قادر على أن يجعل جسمه أو عقله منيعاً لكل ما فى الدنيا من توتر . . وهو قادر على أن يجعل رأسه محطة إذاعة تتلقى كل الأصوات فى هذا الكون ثم يعدلها لحسابه هو . . فأنت أقوى جداً مما تتصور . وتستطيع أن تجرب ذلك . .

فاللعنة الحقيقية إذن ألا نعرف ذلك . .

وفي نفس الوقت نجد اتجاهات دينية أمريكية تعود إلى قداسة الفراعنة . . وعبادة الملك اخناتون . . أو أداء الصلوات فى داخل الهرم . . أو النوم فى داخل غرفة الملك خوفو ، واستحضار روحه . . وتكذيب ما يسميه المؤرخون باللعنة الفرعونية . .

ونظرية « آدم سميث » تقول : إن الإنسان هو الهرم وهو الملك وهو الروح

الفرعونية القادرة على كل ما يريد الإنسان ، وكل ما اراد . .
وأراء واجتهادات كثيرة تساوى ما يبذله الإنسان في فهمها أو محاولة ذلك .
إن الفراعنة لم تفسر كلماتهم بعد .
لقد ماتوا ولكن لعنة التفكير فيهم وفي حياتهم وأثرها في حياتنا ، ما تزال
قوية حية !

أنيس منصور

لعنة الفراعنة

لعنة الفراعنة: طبيًا وكيميائيًا ما معناها؟

هل هي اللعنة التى تطارد الناس ؟ أو هل هم
الناس الذين يطاردون اللعنة ؟ احتار العلماء فى تفسير
هذه الظاهرة العجيبة . ولكن عالماً ألمانيا شاباً أعاد
النظر فى قضية هذا العصر وكل العصور ليفسر لنا
بالعقل وبالطب والكيمياء كيف أن أربعين عالماً وباحثاً
ماتوا قبل الأوان . . والسبب هو هذا الملك الشاب
توت عنخ آمون .

إن هذا الملك ليست له أية قيمة تاريخية . ربما لأنه كان حاكماً تافهاً . .
ربما لأنه كان فى عصر ثورة مضادة على الملك الإله أخناتون أول من نادى
بالتوحيد والذى تزوج ابنته . . ولكن من المؤكد أن هذا الملك الشاب قد
استمد أهميته الكبرى من أن مقبرته لم يمسه أحد من اللصوص . . فوصلت
إلينا عبر ٣٥ قرناً سالمة كاملة . . وأن هذا الملك أيضاً هو مصدر « اللعنة
الفرعونية » . فكل الذين مسوه أو لمسوه طاردهم الموت واحداً بعد الآخر
مسجلاً بذلك أعجب وأغرب ما عرف الإنسان من أنواع العقاب . والشئ

الواضح هو أن هؤلاء الأربعين ماتوا . والشئ الغامض هو أن الموت لأسباب تافهة جداً ولظروف غير مفهومة . .

وكتاب « لعنة الفراعنة » للمؤلف الألماني فيليب فاندنبرج هو أحدث ما أصدرته المطبعة ، وأمتع وأجمل الأبحاث الدقيقة التى تروى مأساة « لعنة الفراعنة » على كل العلماء والباحثين . .

يقول المؤلف إنه فى أحد الأيام جلس مع د . جمال محرز مدير الآثار فى فندق عمر الخيام بالزمالك . وجاء الكلام عن لعنة الفراعنة فضحك د . محرز وهو يقول إنها شئ عجب . ولكنى لا أصدق شيئاً من ذلك

وسأله المؤلف : ولكن كيف تفسر عشرات الحوادث التى أذهلت الطب والكيمياء ورجال الآثار ورجال الدين .

وضحك العالم المصرى وهو يقول : لا أصدق . أنظر ماذا جرى لى أنا شخصياً . لاشئ !

وفى ذلك الوقت كانت مصر تعد رحلة لتوت عنخ آمون إلى لندن ، احتفالاً بمرور خمسين عاماً على الاكتشاف الإنجليزى لمقبرته . وجاءت طائرتان حربيتان ونقلت مجوهرات الملك وتابوته . وكان مؤمناً عليها جميعاً بأكثر من خمسين مليوناً من الجنيهات . . وفجأة توفى د . جمال محرز عن ٥٢ عاماً . والتشخيص سكتة قلبية !

هذا الملك الكامل المقبرة والتابوت واللعنات قد حكم مصر تسع سنوات (١٣٥٨ - ١٣٤٩ ق . م) وقد كشف مقبرته اثنان من الإنجليز هما كارتر واللورد كارتر فون . .

أو على الأصح اكتشفها هوارد كارتر بأموال اللورد كارترفون الذى توفى فجأة
وفى ظروف غريبة عجيبة يوم ٥ أبريل سنة ١٩٢٢ بالقاهرة

هذا اللورد من الأغنياء . وكانت له حياة غريبة . فهو مغامر . . ومن أهم
مغامراته أنه كان يحب الخيول ويركبها عارية وعارياً . . وكان أيضاً يقتنى
عدداً كبيراً من السيارات ، أيام كانت لعبة سباق السيارات محرمة فى بريطانيا .
ولذلك فقد كانت سياراته كلها من فرنسا . وفى إحدى رحلاته بألمانيا التفت
السيارة حول نفسها وسقط هو والسائق . وتحطمت ذراعه وكتفه وساقه
وتشوه وجهه تماماً . . واقترب من السيارة بعض الناس فوجدوا اللورد مغمى
عليه . . وألقوا على وجهه بالماء حتى أفاق ودخل المستشفى وجفف جروحه
ودموعه . ولكن ضيقاً فى صدره ظل يخنقه مدى الحياة . . ولذلك كان يهرب
من برودة بريطانيا إلى دفء الجنوب . واتجه إلى مصر سنة ١٩٠٣ .

وفى ذلك الوقت كانت أعمال الحفر والتنقيب من أهم مواضع العصر .
وفى القاهرة قابله العالم الأثرى جاستون ماسبير و مدير المتحف المصرى .
وقدمه لرجل التنقيب الإنجليزى هوارد كارتر . وكارتر كان مهتماً بالآثار
ورساماً أيضاً ويعيش فى مصر منذ سنة ١٨٩٠ . وكانت له حفائر فى وادى
الملوك لحساب بعض الأغنياء الأمريكان . . وقد صدر له كتاب بعنوان «خمس
سنوات من الاكتشافات فى طيبة» . وكان لدى كارتر هذا إيمان قاطع بأن
هناك قبراً خفياً . . هذا مجرد شعور ولكن ليس لديه أى دليل علمى على
صدق هذا الإحساس الداخلى . .

وقد عثر كارتر على أدوات وأشياء صغيرة تؤكد له أنه يقترب بسرعة من شيء كبير . . أو على حد تعبيره هو : أنني كالذي يرى طيور الشاطئ . . الطيور واضحة ولكن الشاطئ ليس واضحاً . . أو كالذي يرى أغصاناً عائمة تؤكد له أنه يقترب من غابة هائلة .

لقد تأكد لدى كارتر أن شيئاً خطيراً سوف يتكشف أمامه . وبدأت ست سنوات من العذاب والعرق واليأس . ويوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ أ برق كارتر إلى اللورد يقول له : أخيراً . . اكتشفت شيئاً رائعاً في وادي الملوك وقد أسدلت الغطاء على الأبواب والسرداب حتى تجيء أنت بنفسك لترى .

وجاء اللورد إلى الأقصر يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٢ وكانت ترافقه ابنته . وتقدم كارتر وحطم الأختام والأبواب . الواحد بعد الآخر . حتى كانا على مسافة صغيرة من غرفة دفن الملك توت عنخ آمون . وأمتدت يده وأحدث في الحائط فتحة . وأطل وخرج الهواء يحرك الشموع . . هواء ينطلق لأول مرة منذ ٥٣ قرناً . وفي صوت هامس مرتعش سأله اللورد : ما الذي تراه ؟

وأجاب كارتر الذي أدخل رأسه في الفتحة الصغيرة : ما لم تره عين منذ دفن الملك .

وأثوا للمقبرة بباب حديد من القاهرة . وبدأ كارتر يرسم كل شيء . ويصوره بمنتهى الدقة . وتطوع متحف نيويورك وأرسل له عدداً من المصورين والرسامين والباحثين وعلماء اللغات والأطباء مساهمة في هذا الحدث الجليل .

ومن المؤكد أن اللصوص قد امتدت أيديهم إلى المقبرة . ولكن لم يفلحوا في أن يبلغوا غرفة الملك . ولأسباب غير واضحة انصرفوا عنها . . أو طاردتهم المخاوف أو اللعنات . . فتركوا المكان كله إلى أن يكتشفه كارتر وتبيناه

صحيفة التيمس البريطانية منذ ذلك الوقت .

واهترزت الدنيا لهذا الكشف الرائع . وجاءت ألوف الخطابات إلى المكتشف كارتر . . ومنها خطابات تؤكد أن له أسرة عظيمة في أمريكا . . وأن هناك أدلة علمية بذلك . . وجاءت خطابات تطلب منه أن يبعث ببعض تراب المقبرة إلى المعجبين والعشاق والمؤمنين في أوروبا وأستراليا . .

وبرغم هذه الحفاوة من كل مكان ومن كل الناس فإن شيئاً في قلب كارتر يوجعه . ولا يستطيع أن يطلع أحداً عليه . . فقد وجد على أحد الأبواب عبارة تقول أو تقول له : « سوف يطوى الموت بجناحيه كل من يقلق الملك ! »

ولم يكد كارتر يرى هذه العبارة حتى انزعج . ولكن الحدث الجليل والكنز الدفين والشهرة والذهب ، شغلت الرجل عن هذا الإنذار المخيف . فالتقط للعبارة صورة . ثم مسحها بيديه . . فهو الوحيد الذى رأى والذى خاف . وهو الذى أخفاها عن عيون العمال والمساعدين المصريين حتى لا يتوقفوا عن الحفر . .

وقد عشر مرة ثانية على تحذير آخر منقوش على ظهر تمثال يقول : « أنا الذى أطرده لصوص المقبرة وألقى بهم فى جهنم هذه الصحراء . أنتى حامى توت عنخ آمون . »

شئ عجيب . تحذيران من مقبرة واحدة . ولعنة سوف تحيق بمن يقترب ويقلق الملك . أو يذهب إلى أبعد من تحريكه فى نومته . .

إن « اللعنات » ليست كثيرة فى أدب الفراعنة . . إنها ليست كالمطر الذى

يتساقط على رأس من يقرأ التوراة . إن قارئ التوراة لا يستطيع أن يرفع رأسه من كثرة اللعنات التي تهبط عليه من مكان وعلى كل لسان . .

وإنما هناك لعنات قليلة في مناسبات معروفة . مثلاً : تحتمس الأول عندما ألقى خطاب العرش وهو يتوج ابنته الملكة حتشبسوت قال : الموت لمن يلعن . الملك . . اللعنة على من يلعن الملك !

رؤفة أخرى ، عندما تأمرت زوحات ميسس . الثالث قال : اللعنة عليهم . . لقد أردن قتلى . ولكننى سوف أقتلن جميعاً فهن أعداء الإله .

كما أن المستكشف انجلباخ قد عثر في إحدى المقابر بالقرب من هرم ميدوم على نقش يقول : سوف تخنق روح الميت عنق اللص كما لو كان أوزه !

وعثر هذا المكتشف على جثتين في مقبرة واحدة : جثة منحطة . والأخرى ليست كذلك . أما التي ليست منحطة فهي لأحد اللصوص الذى تسلل إلى المقبرة فسقطت عليه حجرة قتلتة !

ويوم افتتاح المقبرة كان المفروض أن يشهد ذلك ثلاثة عشر من الرجال ولكن الذين حضروا كانوا اثنين وعشرين . ومن العجيب أن الثلاثة عشر رجلاً الذين دعاهم كارتر لهذه المناسبة قد ماتوا الواحد وراء الآخر ، وفي ظروف غامضة تماماً .

أما اللورد كارتر فون فقد أصابته حمى مفاجئة . وقال الأطباء إن السبب هو أن في وجهه جروحاً قديمة . . وقد أسال دماءه وهو يخلق لحيته . مما أدى إلى أن يصاب بالحمى . وهو تفسير ساذج . وكان اللورد يصرخ : النار في

جسمى . . أو عندما يصاب بهذيان فيقول : إننى أرى أناساً يدحرجوننى
على رمال الصحراء ويعصرون النار فى فمى . .

وجاء ابنه من الهند ليزوره وقد تمدد طريحاً فى فندق كونتنتال بالقاهرة .
وجاءت الممرضة فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق تهز رأسها فسألها : مات ؟

وهزت رأسها تؤكد ذلك . وذهب الابن ليرى أباه . وانقطع التيار فى
الفندق . وفى مدينة القاهرة كلها . وفى اليوم التالى حاول أحد أن يجد تفسيراً
لانقطاع التيار ولكن لا يوجد أى سبب معقول . . وفى نفس اللحظة وفى
مدينة لندن صحا أهل بيت اللورد على الكلب الوحيد يعوى ويصرخ . . ثم
يقفز إلى سرير اللورد جثة هامدة !

وعندما تزاحم أهل البيت يرون ما الذى أصاب الكلب سقطت منضدة
ضخمة على القطة السوداء التى يتفألون بها فهاتت فى لحظة واحدة !

وبعد ذلك مات وارتر ميسى الذى بعث به المتحف الأمريكى وكان يعاون
كارتر فى الحفر . وجاءت وفاته نوعاً من الاحتراق الشديد . ارتفعت درجة
حرارته حتى أحس أن رأسه قد انفجر . . أو أن شيئاً انفجر فيه . وكان بعد
وفاة اللورد بأيام !

وجاء المليونير الأمريكى جاى جولد ليرى مقبرة توت غنخ آمون . وأطل
برأسه . وعاد إلى القاهرة ليموت فى الفندق فى نفس الليلة !

ومليونير أمريكى جاء وتفرج واسمه جيل ول . وأثناء عودته توفى فى
الباخرة !

أما طبيب الأشعة أرشيبالد رون الذى قطع خيوط التابوت ليصور جثة

الملك فقد أصابته الحمى وتوفى في لندن بعد أيام !

وحتى سنة ١٩٢٩ كان الثلاثة عشر شخصاً الذين دعوا ليوم الافتتاح قد ماتوا جميعاً .

وزوجة اللورد توفيت سنة ١٩٢٩ . . والسبب : أن حشرة غريبة جداً قد لسعتها !

أما سكرتير كارتر فقد توفى أيضاً في نفس اليوم . ولما علم أبو السكرتير أنه قد مات ، قفز من الدور السابع ومات هو أيضاً ! وأثناء سير الجنازة تسلل طفل صغير بين أقدام المشيعين ولم يره أحد ، فداسوه ومات !

ولكن بالضبط ما هذا الذي حدث ؟

هل هناك « لعنة » حقيقية ؟ وما معنى كلمة « لعنة » . . .

هل هي تعويذة سحرية . . هل هناك حروف يمكن تسليطها على الناس ؟ هل للحروف قوة على الأشياء والناس ؟ هل للحروف « خدام » كما يقول رجال الدين وعلماء الروح ؟ هل هؤلاء الخدام قوة غير إنسانية . . قوة شيطانية ؟

هل هناك سموم قد أودعها المصريون مقابرهم . . هذه السموم على شكل هواء قاتل . . أو على شكل تراب . . أو أن هناك معادن لها إشعاع مميت . . هل هناك طفيليات على جثث الموتى التى إذا لمسها الإنسان مات . . ماهو بالضبط - ومن الناحية العلمية الطبية الكيميائية السحرية - المقصود باللعنة الفرعونية ؟

إن ملوك مصر الفرعونية هم آلهتها أيضاً . وهم الآلهة لأن لديهم عدداً كبيراً من العلماء . والعلماء في خدمة الملوك . ولذلك يظهر الملك أمام الشعب

يعرف مواعيد المطر والفيضان . . ويعلم للناس ذلك . ويكون صادقاً
ولا يقول الناس إن الملك عالم ، وإنما يقولون إنه إله . . لأنه علام الغيوب ،
وغارس الحبوب ، وكاشف الكروب ، وقاهر الحروب . . وكان الكهنة
والأطباء والعلماء المصريون يعرفون الكثير جداً في الطب والفلك والكيمياء . .
بل إن علمهم هو الذى لايزال يحير العلم الحديث . . فليس عجباً أن يهتدى
علماء مصر إلى أشياء لانفهمها حتى اليوم . . وليست اللعنة إلا شيئاً متواضعاً
جداً إذا قورن بها عرفه المصريون من ألوف السنين ، ولم نعرفه إلا أخيراً . .
وسوف نرى ما الذى يقوله العلم الحديث جداً في العلوم القديمة جداً . .

أشعة الموت يطلقونها على رواد القبور

لو أن رصاصة انطلقت من مصدر مجهول فأصابت
عشرين عصفوراً في وقت واحد وماتوا فما تفسير ذلك ؟
ماذا تقول إذا كانت الرصاصة قد انطلقت من ألوف
السنين ثم أصابت عدداً من العصافير في أماكن مختلفة
وفي أوقات مختلفة ؟ ألا ترى أن هذا شيء عجيب ؟

هذا كانت لعنة الفراعنة من عجائب الآثار والعلوم والطبيعة والكيمياء
ونظب والسحر . . .

وأمام هذا الشيء الغريب : إما أن نقول إن الذي حدث مجرد مصادفة . .
وإما أن نقول لأبد أن هناك سبباً آخر لا نعرفه وهذا هو الأصعب لأننا بعد
ذلك يجب أن نفسر بالعقل والعلم معنى هذا الذي حدث ، ويمكن أن
يحدث مستقبلاً . .

والمصادفة معناها : أن يموت شخصان في وقت واحد لسبب غير واضح .
وفي حياتنا اليومية أنواع كثيرة من المصادفات .

ولكن العقل الإنساني يحاول أن يربط الأحداث بعضها ببعض ليصل إلى
نتيجة هي : أن كل شيء له سبب . .

ومن أقدم العصور نظر الفراعنة والبابليون إلى السماء . ولم يرفعوا أعينهم
عن النجوم ومساراتها . وسجلوا المتحرك منها والثابت . ورسم الفراعنة « قبة

السماء» أو «الهيئة الفلكية» . وكذلك فعل البابليون . والفراعنة هم أول من أدرك أن هناك علاقة بين النجوم في السماء والحياة على الأرض . فقد لاحظوا أن نجمة «الشعري اليمانية» إذا ظهرت في الأفق ، كان هذا هو موسم الفيضان . وكان علماء مصر الفرعونية يمسون بهذه الملاحظات للملوك . فيزف الملوك هذه البشرى للشعب . ويزداد إيمان الشعب بألوهية الملك الذى يعرف كل شىء

فليست صدفة أن يجيء الفيضان مع ظهور هذه النجمة أو غيرها . . . وليس صدفة أن يكون للنجوم أثرها على الإنسان . . . أو على حياة الإنسان ونحن الآن قد وصلنا إلى القمر ونعرف أثر القمر على المد والجزر والعواصف . وأحدث ما اهتدى إليه الإنسان هو أن مدار القمر أثراً في ظهور الزلازل على الأرض .

فهناك علاقة ما بين النجوم وبين الأرض ، وبين النجوم والحياة على الأرض أو حياة الإنسان . وإن لم يكن واضحاً ما للقمر من أثر على الإنسان وحياة الإنسان . . . أو حظ الإنسان فى الصحة والعمل والحب والزواج والأولاد .

ولكن بعض الأطباء لهم اجتهادات أخرى . فالطبيب الألمانى فلهلم فليس له نظرية تقول : إن كل إنسان له «دورة شهرية» . . . فى هذه الدورة تكون له قوة جسمية وعاطفية وعقلية . . . وهذه الدورة لها أول وقمة وآخر . . . فالدورة الجسسية طولها ٢٣ يوماً والدورة العاطفية طولها ٢٢ يوماً . والدورة العقلية طولها ٣٣ يوماً . . .

وكثيراً ما تلاقت الدورات الحيوية بين بعض الناس ، فيتصرفون بصورة متشابهة وهناك حادثة مشهورة . فقد توفيت نجمة سينائية ألمانية هى وزوجها

في حادث سيارة يوم ٢ أكتوبر سنة ١٩٧٠ وعندما راجع الأطباء تاريخ ميلاد الزوجين وجدوا أن حادث الوفاة قد وقع عندما كانت الدورة الجسمية والعاطفية عند الزوجين في أحط درجاتها . . ومعنى ذلك أنها تصرفا بصورة متشابهة في ذلك اليوم . . وربما كان التصرف هو الرغبة في الموت . . أو الانتحار . .

أى أن هناك نوعاً من « الإيحاء الذاتى » لكل منهما . هذا الإيحاء معناه ان لدى كل منهما رغبة في أن يموت . .

وفي سنة ١٩٧٣ سقطت ١٥٦ طائرة مقاتلة نفاثة صنعت في أمريكا ويقودها طيارون ألمان . وراح ضحيتها ٢٣ طياراً . وقد أثبتت التحاليل لظروف الوفاة ، أن ١٣ من هؤلاء الطيارين كانت دورتهم الشهرية منخفضة جداً .

وفي اليابان يعرفون نظام « الدورة الحيوية » لسائقى التاكسى . ولذلك فقد قرر كوكوساى صاحب أكبر عدد من التاكسيات أن يعطى السائق إجازة إذا كانت دورته الحيوية منخفضة . . وقد لاحظت سلطات الأمن اليابانية أن هذا قد أدى إلى نقص هائل فى حوادث السيارات . .

وفي سويسرا اتبعوا هذا النظام فى مدينة زيورخ أيضاً . ولذلك يكتبون على سيارة التاكسى أن السائق قد اقترب من الهبوط أو تجاوزه بقليل . وفى ذلك تحذير للسائق نفسه وللركاب والسيارات الأخرى . والنتيجة أن حوادث السيارات قد هبطت إلى النصف !

وهذه كلها محاولات لتفسير ما يحدث لبعض الناس فى ظروف متشابهة .

والسبب هو شىء ما فى داخل الإنسان ، جسم الإنسان أو وظائفه أو أعصابه؟

ونعود مرة أخرى نتساءل : كيف أن عددا من الناس لهم اهتمامات متشابهة تقع لهم نفس الأحداث . . كما أصيب بلعنة الفراعنة عدد من العلماء والباحثين أى الذين يهتمون بالحفر والتنقيب . .

فى حياتنا اليومية أدلة كثيرة على ذلك ، مثلا : ؛ حدث عندما كان أحد أساتذة الطبيعة يلقى محاضرة فى جامعة فيينا عن المواد المشعة أن توفى العالم الفرنسى بيير كورى مكتشف الراديو مشع . وقد مات كورى هذا تحت عجلة إحدى السيارات . . .

ونفس الأستاذ الجامعى تحدث بلا مبرر واضح عن عالم الطبيعة النمساوى بولتسمان . ولم يكذ الأستاذ يفرغ من محاضراته حتى جاءه من يقول إن العالم النمساوى قد انتحر !

هل هناك ترابط بين الذين لهم اهتمام واحد؟

لقد أجرى العلماء تجربة على اثنين من المشتغلين بالرياضيات ، ووضعوا كل واحد منهما فى غرفة منفصلة . وأجلسا كلا منهما أمام جهاز رسم المخ . وأعطوا لواحد منهما مسألة حسابية ليقوم بحلها . وكانت المفاجأة : لقد سجل جهاز رسم المخ نفس الخطوط البيانية للاثنين . . أى نفس الخطوط لمن يحل مسألة حسابية ولن لا يحلها !

* * *

إن هناك حادثة معروفة فى كل كتب علم النفس وهى أن أمّا قامت من

نومها على صوت طرقات على الباب . ووجدت الباب منفتحاً وخيل إليها أنها ترى الجليد يزحف على الباب وأن هناك نعشاً في الجليد . وأن في هذا النعش ابنها . وفزعت الأم . وراحت توظف زوجة ابنها تروى لها هذا الحلم أو هذه «الرؤيا» . . وفي الصباح تلقت رسالة من الجبهة من أحد زملاء ابنها يقول لها : أن شظية أصابت ابنها . ولكنه دخل المستشفى . ونزعوا الشظية من صدره . ثم أغارت الطائرات عليهم . فاحتموا في أحد الخنادق . وفجأة تساقطت القنابل . وأهالت عليهم الجليد . وسمع ابنها يصرخ قبل أن يموت يقول : ؛ يا ماما !

وكارثة الطيران في ألمانيا سنة ٧٢ التي راح ضحيتها ١٥٦ من الركاب . . في هذا اليوم أحس قائد الطائرة أنه ثقيل النفس . فاعتذر عن الرحلة . أما «سيدة التي تقود الأتوبيس الذي ينقل المسافرين إلى المطار ، فقد توقفت وصرخت . ولم تفهم لذلك سبباً . كما أن زوجة وزوجها بعد أن ركبوا الطائرة نزلوا منها !

فهل يمكن أن يقال إن هناك طرازاً خاصاً من الناس لديه هذا الإحساس بالموت؟

إن العالم كله يعرف السيدة الأمريكية جين ديكسون . فهي التي تنبأت في سنة ١٩٥٢ بأوصاف رئيس الجمهورية الأمريكية الجديد . . وهي أيضاً التي تنبأت باغتيال الزعيم الهندي غاندى . ووفاة همرشولد سكرتير الأمم المتحدة . . وانتحار مارلين مونرو . .

وفي يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ كانت تتناول طعام الإفطار مع صديقاتها . وفجأة توقفت عن الطعام والشراب . وقالت : إن شيئاً مروعاً سوف يقع

للرئيس كيندى . . سيقته واحد أول حرف فى اسمه : ألف وآخر حرف : دال . . واغتيل كيندى فى ذلك اليوم وقاتله اسمه : أوزوالد !

* * *

وهناك اجتهادات أخرى تقول : إن الأرض والمواد لها طاقة . وهذه الطاقة يمكن مضاعفتها وتوجيهها .

ففى معظم العواصم الأوربية شوارع تقع فيها الحوادث . هذه الشوارع معروفة باسم شوارع الموت . ففى ألمانيا شارع معروف . ومكان محدد من هذا الشارع تقع فيه الحوادث بانتظام . ولذلك فهم يحذرون الناس من السير بسرعة أو الانحراف بشدة . . تماماً كما يحدث عند مدينة دمنهور أو قبلها أو بعدها . . فمعظم حوادث الطريق الزراعى تقع عندها . ولذلك فيمكن أن يقال إن هناك « لعنة دمنهور » .

وقد اهتمدى العلماء إلى أن من هذه المناطق القتالة تنطلق طاقة زائدة تؤدى إلى خلل فى الموتورات أو فى السائقين .

وهناك الحادثة المشهورة للعالم الإنجليزى بول بریتون الذى حبس نفسه فى غرفة الملك خوفو ليلة كاملة . وفى الصباح روى للعالم أنه رأى أشباحاً . وأنه رأى جنازة هائلة ، وكان هو الميت . . وأن الذى رآه والذى سمعه والذى أحس به يشبه تماماً ما يشعر به الذين يتعاطون عقاقير الهلوسة . . وكادت أنفاسه تختنق حتى الموت . فما هذا الذى أصابه ! وما تفسيره علمياً !

فى سنة ١٩٥٩ اهتمدى أحد العلماء واسمه درابل إلى أن « الشكل الهرمى » له أثر كبير على تخنيط الجثث . إن الشكل الهرمى يساعد على ذلك . بل إن

هذا العالم درابل قد جرب وضع السمك في داخل الأجسام الهرمية الشكل .
فلاحظ أن وزنها قد نقص بعد ١٣ يوماً . . وعندما وضع البيض لمدة ٤٣ يوماً
نقص وزنه من ٥٢ جراماً إلى ١٢ جراماً . حتى السمك لم تظهر له أية
رائحة . .

أكثر من ذلك أنه استخدم الشكل الهرمي في « تحديد » أمواس الخلاقة . .
أى جعلها حادة إذا وضعها لمدة أسبوع . .

فهل الفراعنة يعرفون هذه الخصائص كلها ؟

من المؤكد أنهم يعرفون الكثير عن مزايا الشكل الهرمي بالنسبة للأجسام
الإنسانية . . بالنسبة للموتى والاحياء أيضا . وهناك نظريات كثيرة تؤكد أن
الفراعنة استخدموا الهرم لتسليط الأشعة على المزارع . وقالوا أنهم استخدموا
السطح اللامع للهرم ليعكسوا أشعة الشمس على السحب فأسقطوا المطر !

فهل استطاع الفراعنة أن يسلطوا قوى وطاقات أخرى على الأحياء
والأموات ؟ . هل هذا هو التفسير الممكن للجنة الفراعنة التى أصابت كل
الذين حاموا وداروا حول توت عنخ آمون ، أو الذين لمسوه أو شموا هواء
قبره ؟ . هل استطاع الفراعنة أن يطلقوا « طاقة الموت » أو أشعة الموت على كل
الذين دخلوا مقابرهم أو معابدهم أو قبورهم أو قلبوا جثث موتاهم ؟

إن التاريخ القديم يؤكد لنا أن الفراعنة كانوا على علم عظيم بما يجرى فى
الكون بين السماء والأرض . . وأثر المادة على الناس . . وأثر أمزجة الناس على
الناس . . وأنهم عرفوا دورة الحياة أو طاقة الحياة . . وسحر الحياة . . وأنهم
عرفوا النظام الذى يحكم الكون بما فيه الكواكب والنجوم والنبات والحيوان
والإنسان .

إن عددا كبيرا من عباقرة الإغريق والرومان جاءوا إلى مصر يتعلمون : جاء الشاعر هوميروس وجاء الحالم أورفيوس ، وجاء المؤرخ هيرودوت والأديب بوربيدس والمشرع سولور والرياضى آرشميدس . وقد سجل الفيلسوف العظيم أفلاطون عظمة الفراعنة في واحد من كتبه اسمه « تيماروس » . وجاء على السنة أحد كهنة مصر وهو يحدث رجل التشريع والحكم والحكمة سولون وهو يقول ، أنتم أطفال إذا ما قورنتم بما لدى المصريين من علم . . أنتم أضعتم علمكم . ولكن المصريين احتفظوا بالعلم والحكمة في المعابد والمقابر . وأنتم مضطرون إلى أن تبحثوا من جديد دائما . . ولكن المصريين لديهم علم متصل وحكمة موفورة . . وهذه الحكمة كالنهر تفيض دائما بالنور والحياة والخير والسلام . .

فليس مستحيلا أن يعرف الفراعنة كل ذلك عن خواص المادة وأشكالها وعن مصادر الطاقة وتوجيهها . . وأن يموتوا ومعهم الكثير من العلم . .

* * *

ولكن ماتزال هناك ألغاز يجب أن نجد لها حلا . .

أن الأثرى المصرى د . على الخولى قد دخل دورة المياه فوجد العالم الكبير ايمرى قد أصيب بالشلل ويصرخ والتمثال في يده . ويسقط ميتاً .

إنها نفس مأساة العالم الفرنسى شامبوليون الذى قرأ حجر رشيد ، وهى أيضا نفس الطريقة التى مات بها الطبيب الألمانى الذى اكتشف دودة البلهارسيا في مصر - كما سنرى !

لابد أنهم عرفوا مساحيق الهلوسة

أحد العلماء السويسريين كان يقوم بتجارب على بعض العقاقير . . وبعد ساعات وجدوه يبكي ويضحك ويقف على رأسه . . ثم يتشقلب . . ثم ينشر ذراعيه كأنه يطير في السماء ، ويكشف عن ساقيه كأنه يخوض في الماء . . وكان ذلك سلوكاً غريباً من عالم وقور . . فما الذي أصابه ؟

كل ما حدث هو أن واحداً على مليون من الجرام من مادة كان يقوم بتركيبها قد علق بأصابعه . . ولمست أصابعه شفتيه . . فكانت هذه الهلوسة . . ومن يومها والعالم يعرف هذا العقار الرهيب الذي اسمه : ل . س . د . . فهل لعنة الفراعنة شيء من ذلك !

من المؤكد علمياً وتاريخياً أن الفراعنة كانوا يعرفون العقاقير . وكانوا قادرين على خلطها وتركيبها واستخدامها . . والطب الحديث يقول لنا إن بعض مساحيق الهلوسة ممكن أن تحدث أثرها عن طريق الفم والأنف . . وأحدث

اكتشافات الهلوسة عن طريق ذرات هذه العقاقير إذا دخلت العين . .

* * *

نعود إلى ما حدث يوم ١٠ مارس سنة ١٩٧١ عند قرية سقارة . كان يوماً دافئاً . وكان العمال يحفرون الأرض وعلى وجوههم وملابسهم آثار الرمال والارهاق وعذاب السنين ، ومرارة العيش ، أما العالم الإنجليزي والمشرف على الحفائر في هذه المنطقة وأستاذ علم المصريات فقد ظهر أشد إرهاقاً من الجميع . ولكنه حمل في يديه شيئاً صغيراً : تمثال الملك أوزيريس . وهو يقلب التمثال . ثم اتجه إلى مكتبه ومن ورائه مشى مساعده على الخولى . ودخل إيـمـرى الحمام يغتسل . وفجأة صرخ الرجل وراح يموء كاهرة ثم ينبح كالكلب ثم يعوى كالذئب . . وسارع على الخولى ليرى ما الذى أصاب الرجل . . لقد سقط العالم الكبير ! .

وجاءت عربة إسعاف ونقلته إلى المستشفى . والتف حوله الأطباء وكان تشخيصهم : شللاً نصفيًا . ولم ينطق الرجل بكلمة . وإنما راح يحاول أن يقول شيئاً . وظلت زوجته إلى جواره طول الليل . ويوم ١١ مارس كان قد مات !

ومن العجيب أن الأستاذ إيـمـرى لم يكن يؤمن بلعنة الفراعنة . وكان إذا حدثه أحد عن ذلك راح يضحك .

أما صلة الأستاذ إيـمـرى بالآثار فقديمة . إنه كان مهندساً بحريًا . ثم جاء إلى مصر في العشرينيات ثم عاد إليها في الثلاثينيات وراح يقلب في الأرض . وينبش . وعثر على عشرات من المقابر . ولكن فجأة وجد أن حلم حياته هو

أن يعثر على مقبرة أمنتب ذلك الحكيم الفيلسوف المهندس المعماري الفلكي . . فقد كان هذا الطبيب عبقرياً ، لأنه عرف الأمراض والعقاقير . وقد جعله الناس إلهاً . ويقال إنه هو أيضاً الذي اخترع التقويم الفلكي ويقال أنه هو الذي اخترع الكتابة . ومن المؤكد أن رجلاً على هذا القدر العظيم من العلم ، لا يمكن أن يهتدى أحد إلى قبره بهذه السهولة . ولكن الفكرة تسلطت على العالم الانجليزي . . ولابد أن اكتشاف مقبرة هذا الرجل ستكون له نفس أهمية اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون وربما كانت لعناته أشد وأعنف من لعنات الملك الصغير توت عنخ آمون . من يدري ؟

واهتدى الأستاذ ايمرى إلى مقابر وسرايب . . ووجد لوحات ونقوشاً . وأيقن أنه في الطريق إلى مقبرة أمنتب وربط العمال بالحبال حتى لا يضلوا . تماماً كما فعلت الفتاة الأسطورية أريان عندما أدلت بالحبال إلى حبيبها في قصر التيه في جزيرة كريت ، لعله يقدر على الخروج من محنته في ذلك القصر . . ولكن العالم الكبير لم يهتد إلى شيء . . وبعد هذا الفشل الكبير بدأت تظهر عليه حالات من الهذيان الغريب . . حتى انتهى ذلك بالموت ! .

* * *

وهذه الحالة من الهذيان والهلوسة قد أصابت عدداً كبيراً من العلماء قبله وبعده . فمثلاً العالم : يوهانس ديميتش الذي ولد سنة ١٨٣٣ وجاء إلى الصعيد والنوبة . ونقل مئات النقوش على الجدران . وحاول فهمها وتفسيرها . وأمضى من عمره سنوات طويلاً . هذا الرجل أصيب بحالة من الهذيان المستمر . وقد شخص العلماء حالته الغريبة : بأنها نوع من انفصام الشخصية أو ازدواجها . وحاول أن يؤلف كتاباً . ودفع له الناشر ثمن

الكتاب مقدماً . وجلس وكتب ٣٥٠ صفحة لم يستطع أحد أن يفهم منها
عبارة واحدة .

ولا يستبعد العلماء أن هذا الباحث قد لمست أصابعه النقوش
ساعات طويلة . وانتقلت أصابعه إلى وجهه وإلى شفتيه ، أو إذا لم
تلمس أصابعه شفتيه - وهذا مستحيل - فقد انتقل غبار القبور إلى أنفه
أو عينيه . . فأصيب بهذه الهلوسة المستمرة ! .

* * *

وعالم أثرى آخر اسمه هينريش بروجش (١٨٢٧ - ١٨٩٤) لقي نفس
النهاية بعد زيارته لمصر . وبعد دراساته في المقابر ونومه فيها . لقد وجده
الناس يمشى عارياً في الشارع وقد وضع على رأسه تاجاً من الورق يشبه تاج
الملك مينا . . ثم مات مشلولاً !

أما مأساة العالم الفرنسي الشاب شامبوليون (١٧٩٠ - ١٨٣٢) فهي من
أعجب ما عرف الإنسان . فهذا العبقرى الفرنسي قد تنبأ الفلكيون بمستقبله
قبل أن يولد . فقد قال أحد الفلكيين لأبيه : سوف يكون لك ابن هو (نور
الحضارة الإنسانية) . أما الأب فرجل يبيع الكتب . وقد فتح شامبوليون
الصغير يديه وعينيه على الكتب الضخمة . وخصوصاً (الكتاب المقدس) .
فعندما كان شامبوليون طفلاً في الخامسة من عمره كان يحفظ صفحات كاملة
من الإنجيل قبل أن يعرف القراءة والكتابة . وأشفق الأب على ابنه ، فأبعده
عن الكتب . فسرقها الطفل وأعطها لأمه وللجيران لكي يقرأوا له . . أما أخوه
الأكبر فقد كان مهتماً بالآثار المصرية . وتمنى لو أن نابليون قد أخذه معه إلى
مصر . ولكن نابليون لم يفعل . فانصرف الأخ الأكبر إلى التجارة . ولكن حزنه

عميق . وفي يوم اشترى نسخة من مجلة تصدرها الحملة الفرنسية في مصر ،
وفي هذه المجلة سطور تقول : إن الحملة الفرنسية قد اكتشفت حجرا عند
رشيد . والحجر مكتوب بثلاث لغات : الهيروغليفية والقبطية واليونانية . .
وبعث لأخيه بهذه المجلة وكان شامبوليون الصغير في التاسعة من عمره ،
وأرسل الأخ الأكبر خطابا لأخيه الصغير يقول له : لعلك تنجح حيث فشلت
أنا !

وحاول الطفل فك رموز هذا الحجر وظل عاكفاً على هذه المعضلة اللغوية
التاريخية واحداً وعشرين عاماً ! .

وفي سنة ١٨٠٧ راح يدرس اللغة القبطية . . واهتدى إلى أن النص
اليونانى المنقوش على الحجر يضم ٤٨٦ كلمة يونانية و ١٤١٩ كلمة
هيروغليفية . .

وطلب شامبوليون عشرات من النقوش الموجودة على المسلات الفرعونية في
عصور محددة . لعله عن طريق معرفة اسم (كليوباترة) أن يهتدى إلى بقية
حروف الهجاء .

وفي يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٢ اهتدى إلى اسمين آخرين هما : رمسيس
وتحتمس . ثم راح يضع أمامه تفسير الحروف والكلمات كلها . . . وإذا به
يقف على المنضدة صارخاً : وجدتها : وجدتها !

ثم يسقط على الأرض في حالة إغماء لمدة خمسة أيام . وبعد أن أفاق سافر
إلى مصر على رأس بعثة أثرية ليتحقق من هذا الاكتشاف العظيم الذى اهتدى
إليه . وعند عودته من مصر أصيب شامبوليون بالشلل . وبعد ذلك بالهذيان

التام . . وبالإغماء الطويل ليموت وهو لم يكمل بعد ، الثانية والأربعين !

وقصة الأثرى الإيطالى بلسونى (١٧٧٨ - ١٨٢٣) من هذا النوع أيضاً إنه شاب مغامر . أبوه حلاق . ولم يترك عملاً لم يساهم فيه : كان ممثلاً ومطرباً ومهندساً وأثرياً ومخترعاً ونصاباً ومقامراً ومكتشفاً . عاش فى إنجلترا ثم سحرته الآثار المصرية فجاء إلى مصر . واقترح على محمد على باشا أن يدخل تعديلات هندسية على السواقي ومضخات المياه . ولكن محمد على لم يأخذ بوجهة نظره . . وسافر إلى الصعيد والنوبة . . وراح ينبش المقابر . وهو الذى اهتدى إلى مقبرة الملك سبتى الأول . كما أنه شحن إلى أوروبا الكثير من الآثار المصرية التى اهتدى إليها وهربها . وأقام لها معارض مشهورة فى أوروبا وكسب من ورائها مئات الألوف . .

وفى مذكراته يروى إحدى لياليه تحت الأرض : « كان الدهليز طويلاً . وكانت تتساقط فوق رأسى أشكال وألوان وأحجام من الأذرع والسيقان . . وكان التراب يملأ أنفى . وكنت أعطس وأسعل وأذرف الدموع . . وفى إحدى المرات كدت أختنق . . وفجأة وجدت أمامى أشباحاً عجيبة . ولم أكن فى حالة من الخوف . وظننت أن للدهليز باباً آخر . وخيل لى أن الذين أراهم بوضوح أمامى هم بعض العمال المصريين . . لولا أن وجوههم لم تكن واضحة» . .

وفى آخر رحلاته إلى غرب أفريقيا ركب إحدى السفن . . وكان الموج عالياً وكان الهواء عاصفاً والشمس حارقة . . فأصابته الحمى ومعها الهذيان ثم انتهى ذلك بالشلل النصفى وتوفى يوم ٣ ديسمبر سنة ١٨٢٣ عن ٤٤ عاماً !

أما الطبيب الألمانى بلهارس ، الذى اكتشف البلهارسيا فى مصر فقد توفى

في ظروف غريبة عجيبة عن ٣٧ عاماً !

هذا الطبيب الألماني بلهارس كان شاباً نابهاً . وكان مشغولاً في الدرجة الأولى بالبحث عن تكوين الدم عند الحيوانات الفقرية ، أى ذات العمود الفقرى . وقد ظهر نبوغه في سن مبكرة واصطحبه معه طبيب ألماني أكبر وأعظم إلى مصر . وسرعان ما تعب الضيف الكبير وترك للشباب أن يقوم بهذه المهمة . واتجه الطبيب بلهارس إلى دراسة الجثث الفرعونية القديمة وتحليلها . وقد اهتدى بلهارس إلى نوع من الديدان المتكلسة أو المتحجرة في معدة جثة من الأسرة العشرين . ثم عاد بلهارس يتحقق من دودة البلهارسيا في طمى مصر . وتأكد لديه أن هذه الدودة هى مصدر هذا المرض التاريخي عند الفلاح المصرى . .

وعرض بلهارس اكتشافه الطبى هذا على العلماء وكانت له هزة عالمية . . وأصبح بلهارس نفسه أحد معالم مصر الحديثة . وكان هو حريصاً على أن يرافق كبار الزوار إلى المقابر الفرعونية القديمة . . كما أنه لم ينس أن يبعث بمئات الجثث الفرعونية إلى الجامعة التى تخرج فيها يوم احتفالها بالمائة الرابعة لإنشائها !

أما نهاية الشاب النابغة فهى الهذيان لمدة خمسة عشر يوماً انتهت بالوفاة . ولم يعرف الأطباء الذين حوله ما هو هذا المرض الذى أصابه !

* * *

والعالم الأثرى لسبيوس (١٨١٠ - ١٨٨٤) قد نبش مئات القبور . وعاش فيها سنوات طويلة . وفى إحدى المرات وهو يخرج من واحد منها تعثر ليصاب

بالشلل ويموت بعده بساعات !

والأثرى جورج ميلر (١٨٧٧-١٩٢١) وهو الخبير العالمى فى التحنيط والدفن والطقوس الدينية قد توفى بنفس الصورة : هذيان وصراخ وخلع ملابسه كاملة وسير فى الطريق العام ثم شلل وإغماء حتى الموت فى الرابعة والأربعين !

* * *

وأخيراً المؤرخ الأمريكى جيمس هنرى برستيد فقد كان أستاذاً فى جامعة شيكاغو . وقد اشترك فى كثير من البعثات الأثرية إلى مصر . وبرغم مرضه كان واحداً من الذين شهدوا فتح مقبرة توت عنخ آمون . ولكن لماذا كان مريضاً فى ذلك اليوم المشهود !

لقد دخل مئات المقابر والدهاليز وتقلبت أمامه الجثث والتوايت . . وملاً يديه بالجهاجم . . وملاً أنفه بالتراب ، برغم تلك الكمامة التى كان يضعها عادة على أنفه وشفتيه . . وبرغم احتياطه الشديد من الخفافيش الكثيرة التى كانت تسكن بعض الدهاليز . وكان من آماله العظيمة أن يعيد صياغة كتابه المشهور باسم (تاريخ مصر) . ولكنه لم يستطع . . وإنما حدث عندما اتجهت به السفينة إلى ميناء نيويورك أن شعر بارتفاع فى درجة الحرارة . . ودوخة . . ثم أحس الذين حوله أن العالم الكبير لا يعى مايقول . . ثم أصيب بآلام شديدة فى أطراف أصابعه . . وفى شفتيه وفى عينيه . . ثم بإغماء شديد . . وبعد ذلك بشلل . ولم يفلح الأطباء فى أن ينقذوه ومات يوم ٢ ديسمبر ١٩٣٥ وقبله ماتت زوجته . محمومة مشلولة . . ولما ماتت الزوجة . . اختار المؤرخ الكبير أختها الصغرى . وكانت الأخت الصغرى تصرخ أثناء

النيل من حلم واحد لا يتغير : أن جماعة من الفراعنة خطفوها . وحشروها في
نعش ثم ألقوا بها من فوق الهرم وتتحول إلى ذرات من التراب . . . ويوم توفى
زوجها العالم الكبير برستيد جاء خفاش وغطى وجهها وخنق أنفاسها . .
وعندما صرخت صحت من نومها لتجد أن زوجها قد نام إلى الأبد !

وشىء آخر أعجب من ذلك فعندما انتهى طبيبان عالميان من
تشريح جثة توت عنخ آمون يوم ١١ نوفمبر توفى الرجلان . .
كيف؟ . . هذا ما سوف نرى !

تفاح الجن في تابوت الملك

أما معنى التميمة المصنوعة من الحديد والتي رافقت
جثمان الملك توت . . فتفسيرها في الفصل ١٦٦ من
كتاب الموتى الذى يقول : « انهض من نومك . فسوف
تنتصر على كل شىء . فالطريق مفتوح أمامك . . لقد
قضينا على كل أعدائك » وتفسير وإنذار أعنف يقول
« كل يد تمسكك تنقطع . كل أنف يشمك يسقط .
كل عين تراك تنطفئ . . انهض هادئاً صاحب
الجلالة! » .

أما جثمان الملك توت عنخ آمون فقد نقلوه إلى المشرحة فى القاهرة . وكان
ذلك يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٥٢ . هناك حركة غير عادية . العلماء يجرون
والأساتذة والحراس . واقتربت الساعة من التاسعة وتجاوزتها إلى الثلاثين
دقيقة ، ثم توقفت العقارب أو الزمن كله عند الساعة التاسعة و ٤٥ دقيقة
ووقف الأثريون والأطباء أمام مومياء الملك التى لم يمسهأ أحد منذ ٣٣ قرناً .
وكان الملك ملفوفاً فى أعطية تفحمت مع الزمن . وكانت ملفوفة بإحكام

شديد . فهناك أربطة طولية وأربطة عرضية ولها أشكال هندسية . وقد وقف الجراح يمسك مشرطه ويخشى إن سقط على القماش أن يتهاوى كله بين أصابعه . . ولذلك كان شديد العناية — أو شديد الخوف أيضا . ولابد أن يخاف فهذه أول مومياء كاملة لملك يقربها إنسان . . وهى أول مومياء سليمة تماما ، ويجب أن تظل كذلك .

* * *

أما الحاضرون ويتقدمهم الجراح الإنجليزي د . دوغلاس درى فهم :

١ - صالح عنان باشا وكيل وزارة الأشغال .

٢ - سيد فؤاد بك الخولى محافظ قنا .

٣ - مسيو بييرلاكو مدير عام مصلحة الآثار . .

٤ - د . صالح بك حمدى مدير عام الخدمات الطبية بالإسكندرية .

٥ - مستر لوكاس الإخصائى الكيمائى بمصلحة الآثار .

٦ - مستر هارى برتون مندوب متحف مترو بوليتان للفنون بنيويورك .

٧ - توفيق أفندى بولس كبير مفتشى آثار الوجه القبلى .

٨ - محمد شعبان أفندى مساعد أمين متحف القاهرة .

وقد اهتز العالم كله لهذا الحدث العلمى والطبى الجليل . وربما كان الجراح الإنجليزي درى خائفا .

فقد كتب فى مذكراته يقول : بعض الناس يرى أن فك أربطة المومياء وتشريحها نوع من الإهانة للميت والاستخفاف بقدره العظيم . ولكن الدافع

الحقيقى هو أننا نريد أن نعرف ، وقد كان الفراعنة من أكثر الناس حباً للمعرفة ، ومساهمة للعلوم فى كل العصور» .

وأمام الجميع بدت المومياء بمجوهراتها وذهبها . كما أن وضع المومياء فى التابوت كان عنيفاً إلى حد ما ، فالأيدى التى أودعت الجثة لم تكن متزنة أو كانت مرتبكة إلى حد كبير . لأن الجثة قد وضعت بشىء قليل من الميل . . كما أن الشمع الذى صبوه على الجثمان لم يكن بهدوء . . فما تزال له بقايا متفاوتة القرب والبعد من أرضية التابوت . كما أن الجثة قد ثبتت إلى حد ما فى أرضية التابوت . . ووضعوا تحت رأس الملك وسادة . هذه الوسادة لم تكن قد لقيت العناية الواضحة فى كل شىء . . ربما كان هناك (سبب ما) أصابهم بالارتباك عند وضع الملك الشاب فى مثواه الأخير - ولكن احداً لم يستطع أن يذهب فى التفسير والتعليل إلى أبعد من هذه الملاحظات . .

وكان على الجراح الكبير درى أن يفتح جزءاً من الجثة ليصل إلى أعماقها . . وكانت العناية الشديدة ضرورية . فأزال بعض الأقمشة ثم الأربطة ثم اللفافات ثم المواد التى استخدمت فى التحنيط . ووجد ١٤٣ قطعة من المجوهرات التى ازدانت بها أغطية الملك . . واحدة منها سقطت وحدها . . وفجأة سقطت واحدة أخرى . والتصقت الاثنتان معا ! ولكن أحداً لم يلاحظ ذلك فى الحال . فقد كان الموقف مهيباً رهيباً .

والذى حير العلماء - حتى علماء الأشعة - هذه التميمة المصنوعة من الحديد . . غريبة الشكل . . وغريبة أن تكون من الحديد وكل شىء حول الملك من ذهب . . وحول عنق الملك ٢١ تميمة أخرى . . بعضها للاتزان وبعضها للزينة والباقى لوقايته . .

لا أحد يعرف بالضبط هل هذه التميمة أى أثر إشعاعى ! ربما كانت كلمة الأشعة أو الإشعاع لا معنى لها عند رجال الدين فى ذلك الوقت . . أو عند عامة الشعب . فالتناس عادة يعرفون الفوائد العلمية لأشياء كثيرة ، ولكنهم لا يعرفون الأسس العلمية لها . . ففى ألمانيا الحديثة كان الناس يأتون بالرمال من (وادى خواكيم) ويضعونها فى أكياس صغيرة . وهذه يضعونها على مواطن الألم فى الجسم الإنسانى . وكان الألم يذهب . وآمن الناس بذلك عشرات السنين . حتى جاء العلم الحديث يؤكد أن فى هذه الرمال نوعاً من الإشعاع . وأن هذا الإشعاع هو الذى يذهب بالألم . . ومن المؤكد أن الإغريق والفراعنة قد عرفوا الفوائد العملية لأشياء كثيرة . ولكن عامة الشعب لا يعرفون أساسها العلمى . . ولذلك كانت هذه التجارب العلمية نوعاً من المعجزات . . أو من الغيبيات - أى من الأفعال المجهولة الأسباب . .

* * *

أما الملك فهو متوسط القامة نحيف جداً . طوله ١٦٧ سنتيمتراً . وتحليل عظامه يؤكد أنه توفى فى سن صغيرة بين الثامنة عشرة والعشرين . هذه حقيقة يؤكدها علم العظام . وما اهتمدى إليه الجراح الإنجليزى اليوت سميث الذى أمضى سنوات طويلة من عمره يقلب فى الجماجم . لقد حطم أكثر من عشرين ألف جمجمة ، باحثاً عن عمر أصحابها وأهم من ذلك باحثاً عن الأمراض التى أصيبوا بها وعن أسباب الوفاة أيضاً . وكان هذا الطبيب ينسى أنه يعالج بقايا أناس ماتوا . ولذلك كان يعاملهم بعنف ويحاورهم كأنهم أحياء . وفى إحدى المرات دخل المتحف المصرى وحمل تابوتاً على رأسه ووضعته فى أحد التاكسيات واتجه إلى عيادته . وكان صاحب التابوت هو الملك تحتمس

الثالث (١٥٠٢ - ١٤٤٨ قبل الميلاد) واكتشف الطيب أن هذا الملك كان مصاباً بالتهاب في اللثة والشفيتين . ومن أهم ما اكتشفه هذا الطيب أن أحداً من الفراعنة في كل العصور لم يصب بمرض الزهري .

* * *

أما عالم البكتريا الفرنسى روفر الذى كان أستاذا بطب القاهرة ورئيساً للصليب الأحمر المصرى فقد اكتشف البكتريا فى مومياى فرعونية . ووجدها فى الرثتين والكبد كما أنه وجد دودة البلهارسيا فى كليتى ميت من الأسرة العشرين . وهو الذى اكتشف أن الملك رمسيس الثانى (١٣٠١ - ١٢٣٤ قبل الميلاد) والذى بنى معبد أبو سمبل قد توفى بتصلب الشرايين . .

لقد أصبح من المؤكد علمياً أن الملك الشاب دفن بسرعة . ولكن أحداً حتى ذلك الوقت لم يعرف لماذا ؟

أما الواقفون حول جثمان الملك توت عنخ آمون فقد ظهر الذهول عليهم عندما رأوا الجراح البريطانى يتراجع لأنه نفذ بمشرطه إلى بطن الملك . .

ولكن ما الذى فعله الطب القديم والسحر الفرعونى بالملك الشاب وتخنيطه وقبره . . وكيف استطاعوا حمايته ألوف السنين والقضاء على من تهجموا على موته الهادئ الأبدى ؟ - هذا ما سوف نرى ؟

وقد تصيب عرقاً بارداً . . لقد وجد أن هناك إكليلاً ذهبياً على وجه الملك الشاب الذى ظهرت ملامح وجهه نضرة محددة القسمات . إن هذا الملك هو الوحيد الذى وضع له الإكليل . ولكن لماذا ؟ ما قوة هذا الإكليل ؟ ما سحره ؟ هل هناك أى أثر إشعاعى سريع لهذا الشئ الغريب الذى حرص الذين دفنوا

الملك على أن يضعوه برغم أنهم تعجلوا دفنه ؟

بعد أربعين عاماً من ذلك اليوم اهتدى الأطباء إلى شىء جديد . . فقد جاء طبيب الأشعة د . رونالد هاريسون . وحمل معه جهازاً صغيراً إلى وادى الملوك والتقط خمسين صورة لمومياء الملك ورأسه . وقد لاحظ الطبيب أن هناك جرحاً على الجانب الأيسر من الوجه . وهذا الجرح قد التأم . وكان معنى ذلك أن الملك قد ضرب أو سقط . وبمتابعة الصور مرة أخرى تأكد لدى الطبيب أن الملك توت عنخ آمون قد مات بجلطة في المخ على أثر هذه الضربة العنيفة . . وهذا يفسر وضعه غير المتوازن في التابوت وظهور بعض الخلل في أربطة الملك وزينته . . واختلال مسار الشمع على الجثمان . . وليس صحيحاً ما ظنه بعض الأطباء من أن الوفاة كانت بسبب أورام خبيثة أو التهاب رئوى أو سل في العظام . .

جاء د . كونولى وقام بتحليل دم الملك الشاب . ووجد أن فصيلة دمه من ذلك النوع النادر : ألف ٢ مجموعة م . ن .

ولابد أن يكون هذا الملك قد جاء من أسرة أرستقراطية جداً . وتحليل دم الملك اخناتون وجد أنه هو أيضاً من نفس الفصيلة . .

* * *

وكان هوارد كارتر الذى اكتشف المقبرة قد سجل في كتابه الكبير أن هناك شبهاً عجيباً بين إخناتون وبين توت عنخ آمون . أما تفسير ذلك الآن فواضح : وهو أن توت عنخ آمون الذى كان زوجاً لابنة إخناتون ، هو في نفس الوقت ابنه غير الشرعى . . فزوجة اخناتون لم تنجب له إلا البنات . وقد اضطر

إخناثون إلى أن يتزوج سرّاً أخته غير الشقيقة وأنجب منها توت عنخ آمون .
الذى راح ضحية ثورة دينية غير معروفة الملامح . هل كان هو سببها ؟ هل
كان هو إحدى أدواتها ؟ لقد كانت محنة واجهتها أرملته التى كانت فى الخامسة
عشرة من عمرها .

أما كيميائى مصلحة الآثار لوكاس فقد قام بفحص المومياء . . ثم فحص
المقبرة كلها فوجد بها بعض الفطريات ولكن هذه الفطريات لم تستجب لأية
معالجة كيميائية . وأعلن أن المقبرة خالية تماماً من الجراثيم . وإن كانت
الفطريات نفسها قد أسقطت جدران المقبرة . وعثر على حشرات كثيرة ميتة
مسمومة .

أما العالم الإيطالى الفيرى الذى كان يعمل بالجمعية الزراعية الملكية المصرية
فقد عثر على أنواع عجيبة من الخنافس عاشت على عفن عضوى فى المقبرة .
وكذلك عثر على عناكب ميتة ، وأن نسيجها مايزال عالقاً فى الأركان كما كان
من ٣٣ قرناً . . وعثر أيضاً على زهور برية . .

* * *

وعثروا أيضاً على باقة من الزهور فى قاع التابوت . . لا بد أن أرملة الملك
الشاب قد ألفت بها أو بعثت بها فى اللحظات الأخيرة رمزاً للوفاء والحزن
عليه . وهذه الزهور قد قطفها من شاطئ النيل القريب . . وكانت هناك زهور
وأغصان الزيتون . ومن النباتات الغريبة عن هذه المنطقة وعن مصر كلها
نبات (تفاح الجن) وهو من فصيلة الباذنجان . وهذا النبات ينمو فى
فلسطين فقط . وإن كانوا قد عثروا على شجرات منه فى جزيرة فيلة بأسوان . .
وفى مقابر كثيرة يجدون المشيعين يحملون إلى الميت سلالاً من تفاح الجن . .

ويقال إن هذا النبات مجدد للشباب والحياة الجنسية . ويقال إن أهل أسوان كانوا يستخدمونه مخدراً ، خصوصاً إذا أسرف الإنسان في تعاطيه . .

* * *

والذى نتوقعه هو أن يصاب الذين شرحوا جثة الملك بما أصيب به آخرون . . وأن هذه التعويذة أو التميمة السحرية سوف يكون لها أثرها الذى نص عليه كتاب الموتى . فالكتاب طلب من الملك أن يصحو ليموت أعداؤه ، وأن يهدأ بالاً لتعرف الهلوسة عقول الذين تجرأوا على هدوئه المقدس الأبدى - وهذا ما حدث .

فالكيميائى ألفرد لوكاس قد أصيب بأزمة قلبية وبعدها مات . وهو يتمرغ على الأرض ويهذى بكلمات غير مفهومة ويقال إنها كلمات فرعونية . ولكن أحداً لم يتبينها بوضوح . .

وبعده أصيب الجراح الإنجليزى د . درى بجلطة فى المخ ومات . ويقال إن هذا الجراح قد أمسك ورقة وقلماً وكتب هذه العبارة : الفصل ١٦٦ من (كتاب الموتى) - أى اللعنة عليه .

* * *

لا عرفنا كيف مات ولا أرملة الطفلة

لا يمكن حصر الكلمات التي قيلت عن الملك الشاب توت . . غير أن أصدق الكلمات وأقساها معاً هي التي قالها الرجل الذي اكتشفه : إن أهم ما في تاريخ هذا الشاب هو أنه ولد ومات لأجدته سلباً بعد ذلك !

ولكن هذه العبارة الموجزة عن حياة الملك توت عنخ آمون برغم أنها واضحة فإن حياة الملك نفسه لم تكن كذلك . فقد ولد هذا الملك في ظروف غامضة . وعاش في مجتمع تعليمي بالثورة الدينية ولم يكن المجتمع يشير إلى إله واحد ومنهج ديني واحد حتى توفي الملك النبي صاحب شريعة التوحيد : إخناتون . وبعد وفاة الملك النبي جاء زوج ابنته وابنه هو أيضاً : توت عنخ آمون . .

أما كيف ظهر هذا الملك توت ، فذلك لغز من ألغاز الحياة الاجتماعية ومن ألغاز القصور والكهنوت في مصر ، فالملك إخناتون قد رزق بثلاث بنات . . وكان حريصاً على أن يكون له ولد يرث العرش . . ولذلك قد تزوج أخته سرّاً وأنجب منها هذا الولد غير الشرعي توت عنخ آمون . .

وكان من المؤلفات تعدد الزوجات الشرعيات وغير الشرعيات . وكان الملوك يفعلون ذلك ، وعامة الشعب ما داموا قادرين على الإنفاق على الزوجة والعشيقة أو ربما كان الملك حريصاً على نقاء الدم ، ولذلك كانوا يتزوجون بعضهم من بعض . أو كان الواحد يتزوج أخته أو ابنته . . حتى الآلهة كانوا يفعلون ذلك . فالإله أوزوريس تزوج أخته الإلهة إيزيس . . وسيت تزوج نفتيس . . وأصبح من المؤلف أن تجد في النصوص الهير وغليفية أن كلمة «أخت» تعنى «العشيقة» أو «المعشوقة» . . وفي كثير من الأحيان كان من الصعب على أكثر الناس دراية باللغة الفرعونية القديمة أن يفرق بين المعانى المتنوعة لكلمة «أخت» . .

ولكن كما حدث في عصر الحريم التركى فى البيت العالى أن كانت زوجة واحدة هى التى يطلقون عليها «ست البيت» أو «ست الدار» . أو «ست الكل» - أى الزوجة الأولى . اما النساء الأخريات فهن «الحريم» أو دون ذلك . . وكان من المؤلف - ولا يزال - أن تكون العشيقة أجهل وأقدر على الغناء والرقص . وكثيراً ما كانت العشيقة تأتى بأولادها وتعيش من الأسرة . ويكون لأولادها نفس حقوق الأبناء الآخرين فى الأسرة . وكانت المرأة فى مكان رفيع فى كل العصور الفرعونية . . ولذلك وجدنا صورة الزوجة مساوية فى المساحة والحجم لصورة الزوج . فقط كان الأطفال والخدم أقل من ذلك حجماً .

ومن أعجب البرديات التى بين أيدينا الآن واحدة فى مدينة ليون بهولندا . هذه البردية خطاب بعث به زوج إلى زوجته المتوفاة . ولم يتمكن من أن يضع هذا الخطاب فى تابوت زوجته ، فقد ماتت وهو يحارب . وإنما أودع خطاها

هذا تابوت سيدة أخرى ماتت . . لعل السيدتين تلتقيان في عالم الموتى وتنقل إلى الزوجة التي ماتت رسالة زوجها الحزين العاتب عليها . .

هذا الزوج توفيت زوجته فمرض بعد ذلك . وظل هذا الزوج حزينا عليها ثلاث سنوات . وهو يتهم الزوجة بأنها هي التي تسببت في مرضه ويقول لها : ما الذى فعلته لك حتى يصيبنى المرض بسببك . أنا الذى أحببتك ؟ أنا الذى أتيت بجنود الملك وخيوله ليتدربوا أمامك . . أنا الذى جعلتهم يلقون الهدايا تحت قدميك . . أنا لا أستاهل منك هذه المعاملة القاسية . أنا الذى لم أخنك لاحية ولا ميتة . . فلم أتردد على بيت من تلك البيوت . . وقد مضت ثلاث سنوات على ذلك . ولست آسفاً على إخلاصى لك . . ولكنى آسف على أنك لا تعرفين ما الفرق بين الخير والشر . . بين الرجل الفاضل وغيره من الرجال الذين يخدعون زوجاتهم . . لا بد أن يحكم الناس بيننا . . وفى ختام رسالتي أحب أن أقول لك ، ولكى تستريحى حيث أنت ، أننى لم أزر أخواتك الثلاث حتى الآن - ولن أفعل !

* * *

نعود إلى الملك النبى أخناتون (أمنحتب الرابع) فقد كانت له ثلاث بنات : مريتاتون وقد تزوجت شاباً شارك أباهما فى الحكم بعض الوقت ، ثم توفى صغيراً . وابنته الثانية ميكتاتون وقد ماتت وهى صغيرة . وابنته الثالثة إسمها عنخسنباتن وهى التى تزوجت الملك توت وكانت فى التاسعة من عمرها . ثم أجهضت مرتين . ومات زوجها الملك توت دون أن ينجب إنثاءً أو ذكوراً .

وعندما مات الملك توت وجدت الأرملة الصغرى نفسها وحدها . . لقد

كانت فى الخامسة عشرة من عمرها . وهى تعرف جيداً ماذا يدور فى القصور . وما الذى تقوله الزوجات والعشيقات والأرامل . وما الذى يدبره الكهنة وقادة الجيش . صحيح أن زوجها لم يكذب يجلس على العرش حتى سقط من العرش أو أسقط من العرش . . أو مات دونه - ولكن من المؤكد أنه قتل - هذه حقيقة علمية .

أما الذين كانوا أمام أرملة الملك توت يتربصون بها . فالكاهن الأعظم : آى . . والقائد الأعظم : حور محب . .

أما الكاهن فقد كان يعرف بالضبط ما الذى يريد وقد أعد نفسه لكل الاحتمالات . أما زوجته فقد كانت مربية الملكة نفرتيتى . وهى أستاذة فى المناورات والمؤامرات . وقد اتهمت بأنها وضعت السم للكلاب الصغيرة . ثم وضعته للأبقار . ويقال إنها كانت تجرى تجارب من أجل شىء كبير . ويقال إن السموم وصناعتها هى إحدى الحيل التى لجأ إليها زوجها فى مناسبات عديدة . .

وكان أمام الأرملة الصغيرة وقت قصير جداً لكى تقعد على العرش . أمامها سبعون يوماً . . هى الأيام التى يجب أن تمضى بين الوفاة والجنائز . وبعدها يذهب الملك الجديد فى احتفال مهيب إلى تابوت الملك الراحل ويفتح فمه لتخرج منه الروح ، فإذا خرجت أصبح هو الملك . .

ولم تجد الأرملة الطفلة أمامها إلا حلاً واحداً . فقد بعثت برسالة إلى ملك الحثيين فى آسيا الصغرى (تركيا الآن) . تقول فيها : أعلم أن لك عدداً من الأبناء الناضجين . وأنا اليوم أرملة مات زوجى ولم ينجب ولياً للعهد . ولذلك أطمع فى أن تبعث لى بواحد من أولادك أجعله زوجاً وملكاً على مصر . .

وكانت الرحلة تستغرق أسبوعين ذهاباً ومثلها في الإياب . ووقف رسول الملكة أمام ملك الحيثيين . وقد أعلن الملك أنه لا يصدق الملكة . وأنه لا يستبعد أن تكون هذه حيلة لتتخذ من ابنه رهينة ، تمهيداً لمطالب أخرى . وعاد الرسول مخدولاً . وأرسل الملك رجلاً ينهى إلى الأرملة الملكة مخاوفه . ولكن الملكة أكدت له أنها لا تكذب . وأنها لا يمكن أن تقبل هذا الهوان فتطلب إليه رجلاً ، مع أن بلادها مليئة بالرجال . ولكن المشكلة أن الملكة لا تريد زوجاً من عامة الشعب .

وأرسل لها الملك واحداً من أبنائه واسمه الأمير زنازا ليلقاها في مدينة طيبة عاصمة الإله آمون . ورأى القائد الأعظم حور محب أن يخف للحفاوة بالأمير . فلقية جنود القائد الأعظم واغتالوه . ولم يعرف أبو الأمير الحقيقة . ولكنه آمن بأن المصريين غدارون وأن الملكة كاذبة غادرة . !

وكانت الفرصة التي انتظرها الكاهن آى فذهب إلى تابوت الملك توت وفتح فمه لتخرج روحه وأعلن نفسه ملكاً إلى جانب الأرملة الصغيرة ، ولمدة أربع سنوات . توفي بعدها في ظروف غامضة . . أما هذه الأرملة فقد ضاع صوتها وصداها وضوؤها وظلالها في غبار الزمن والثورة على الدين ورجال الدين التي جاءت بعد ذلك . . وربما كان القائد حور محب هو الذى اغتال الأرملة الصغيرة . لا أحد يعرف على التحديد . .

* * *

وأعلن حور محب نفسه ملكاً . ولكى يخفى هذه الجريمة تزوج أخت الملكة نفرتيتى . وأمسك الأرميل والسكين وراح يمحو اسم الملك توت ويفقأ عيني نقوشه وتماثيله أينما وجدها . ولم يكتف بذلك بل قطع رؤوس التماثيل - حتى

إذا قام صاحبها يوم القيامة كان مقطوع الرقبة !

كما أنه استخدم أحجار مدينة تل العمارنة وبنى منها أهرامات ثلاثة في مواجهة مقبرة الإله آمون بمدينة طيبة .

وحطم الكثير من المقابر . وحطم قبر الكاهن الملك آى . .

ولكن شيئاً غريباً حدث أو لم يحدث : فهو لم يقترب من مقبرة الملك توت عنخ آمون . . ولا رجاله اتجهوا إليها . ولا حاولوا ذلك !!

يقول عالم الآثار كريستيان دروش نوبلكور : أن هذا الرجل قد كان يمشى في الهدم والبناء وفقاً لخطة علمية مدروسة . . هدم كل شيء تافه . وترك مقبرة توت عنخ آمون ، لأنها أروع من كل الذى هدمه فى ذلك الوقت !

فهل هذه هى الحقيقة ؟ هل هو أبقاها لأنها أجمل وأروع ؟ هل من المعقول أن رجلاً يتحرك بهذا الحقد والتشفى يهدم الأشياء التافهة ويترك هذا المتحف الجميل أو هذه التحفة الفنية ؟ هل من المعقول أن يترك لخصمه وغريمه الملك توت هذه الآثار التى تجعل حياته الآخرة أروع وأبهى ؟ ليس معقولاً طبعاً . ولكن المعقول أن شيئاً ما منعه من ذلك . فما هو هذا الشيء ؟ . .

هذه هى القضية . لقد كان العلم فى ذلك الوقت من ممتلكات الكهنة . هم الذين يعلمون . وهم الذين يحتكرون العلم . وهم القادرون على تطبيقه . . فلا يرى منهم الناس إلا هذه « المعجزات » - أى وقوع أشياء غريبة عجيبة لأسباب ليست واضحة عندهم !

وليس غريباً أن نجد الملوكة يهبون الكهنة الكثير من ثروتهم . لماذا ؟ لأن

هؤلاء الكهنة قد قدموا خدمات جليلة للملوك . ما هى ؟ هذا ما لا يعرفه الناس عادة . ولا يقوله الملوك أو الكهنة . فالملك رمسيس الثالث (١١٩٧ - ١١٦٥ قبل الميلاد) قد منح كبير الكهنة فى عصره ٨٨٧٨٦ أسيراً . وهو حر فى أن يبيعهم أو يقتلهم فلا حسيب عليه ولا رقيب . وأعطاه أيضاً ٣٢ طناً ذهباً .

وفى القرن الحادى عشر قبل الميلاد تلقى كهنة الإله آمون ٢٤٠٠ مزرعة و ٨٣ سفينة و ٤٦ ميناء صغيراً ونصف مليون من الأغنام . .

والتقى الطب والسحر عند الفراعنة ، فكان الطبيب هو الشافى والمعافى وهو فرحة الدنيا كلها للأحياء وللأموات .

وقد ترك لنا الفراعنة عدداً كبيراً من البرديات التى تدل على ذلك .

* هناك البرديات المعروفة باسم برديات (ادوين سميث) فى ٢٢ صفحة . .

* وبرديات هيرست فى ١٧ صفحة . . وترجع إلى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد . .

* وبرديتان لكاهون عن الطب البيطرى وترجعان إلى ١٩٠٠ قبل الميلاد .

* وهناك ١٨ صفحة تعود إلى عصر الملك توت ومعها تراكيب لبعض العقاقير للألم والطفل . وفيها نرى هذه « التوأمة » بين الطب والسحر .

وفى هذه البرديات نجد تشخيص المرض وعلاجه ، ونجد كيفية الكشف على جسم المريض . وكيف يتحسس الطبيب . . وكيف أن التهاب المعدة له علاقة بالكبد . . وكيف أن أوجاع المفاصل له علاقة بتسوس الأسنان . .

وكيف أن ضعف النظر له علاقة بأمراض أخرى كالسكر أو تأكل الأسنان . .
وكيف يمكن تناول الأدوية بعد وقبل وأثناء الأكل وقبل النوم . . أو على
الريق . .

ولكن هناك كلمات أو تعبيرات أو طلاس غير مفهومة . . ولا بد أن تكون
هذه بعض التعاويذ التي يستخدمها السحرة ، وإن كنا لانعرف أين يتلقى
هؤلاء الأطباء علومهم . فالطب أيضاً واحد من العلوم السرية أو السحرية . .
كما أن الفراعنة لم يعرفوا المستشفى . ومعنى ذلك أن العلوم كلها يتلقاها بعض
الناس سرّاً . . لأنهم يبخلون بها على الناس . فنجد من التعبيرات أو
الوصفات العجيبة : الفئران المسلوقة . . أو جلد الأحذية المحروق أو وضع
لبن الحامل في العين الملتهبة . . أو وضع دم البرص على الجراح . .

وتحدثنا البرديات عن أرواح المدن - أى أن لبعض المدن أرواحاً قوية . وأن
هذه الأرواح لها سلطان أو سيطرة على الناس عموماً . ومن الغريب أن هذه
الأرواح يقوم الكهنة بتسليطها على الناس . . ولكنهم لا يسلطونها على الأحياء .
وإنما على الأموات فقط . فهناك روح مدينة بويسطة - روح هذه المدينة يطلقها
الكهنة لحماية المعابد والمقابر . .

ولا بد أن كهنة آمون قد استخدموا كل قدراتهم السحرية لحماية مقبرة الملك
توت . . لحماية هذه المقبرة من الذين يسرقون القبور والكنوز الملكية . ونحن
لانعرف على التحديد ما الذى أصاب الذين نبشوا مقابر الملوك ولا كيف
أصابتهم الأرواح . . ولكن الملك توت الذى جمع حوله عدداً من أشهر العلماء
والأطباء هو في نفس الوقت قد اختار ضحاياه . . فكانت لعنته عالمية . .
لأنها أصابت رجالاً عالميين في كل العواصم الأوربية والأمريكية والأفريقية . .

ثم إننا لانعرف كيف مات مئات العمال الذين حفروا الطريق إلى مقبرته . .
لابد أنهم تساقطوا مثل الحشرات في مقبرته . . لا يدري بهم أحد . . لقد ماتوا
تراياً على التراب . . ماتوا يحملون سر اللعنة معهم إلى الأرض . . وما كان لنا
أن نعرف قوة السحر الأسود لولا هؤلاء المشاهير من الأغنياء والمؤرخين والأثريين
والأطباء .

ولكن لغز الملك أو سر اللعنة لم ينته بعد - كما سنرى !

إن كل إنسان يموت إلا قليلاً

عالم أمريكي توفي يوم ١٩ سنة ١٩٦٧ عن ٧٣ عاماً
اسمه جيمس بدفورد . وبسرعة قام علماء آخرون بتنفيذ
وصيته فأفرغوا أحشاءه تماماً . ثم ملأوها بالسوائل
الكيماوية ووضعوه في الجليد في درجة ٢٠٠ تحت
الصفر . وتكلفت هذه العملية الغريبة ثلاثين ألف
دولار . وكان بذلك أول إنسان يدفن أو يحفظ في
الجليد . ولكن لماذا ؟ لأن هذا العالم الكبير عنده أمل في
أن يقوم العلم الحديث بإحياء بعض الخلايا في جسمه !

وقبل ذلك بسنوات أعلن عالم آخر اسمه روبرت اتنجر أن الإنسان إذا
مات ووضع في الجليد بشرط أن تنخفض درجة الحرارة ١٥٠ مئوية مرة واحدة ،
فإن هذا يساعد بعض الميكروبات على أن تعيد لها الحياة في أي وقت بعد
ذلك . وحاول هذا العالم ونجح . .

* * *

وأجريت تجارب كثيرة على خلايا النباتات وبعض الحيوانات . وكان لهذه

التجارب نجاح فتح أبواب الأمل أمام العلماء أن يعرفوا أكثر عن سر الخلية الحية والميتة . والتي يمكن إحيائها بعد ذلك .

وهناك قبائل بدائية قد جربت أشكالا وألواناً من الدفن في الجليد . فأهل الإسكيمو لهم قبور تحت الجليد . ولديهم خرافات تقول بأن بعض الأموات دبت فيهم الحياة . . وبعض الأموات تحركت رءوسهم أو قلوبهم . .

ولكن أحداً من الذين ماتوا لم يعد إلى الحياة في كل العصور . غير أن العلماء عندهم أمل .

* * *

ولكن ما الذى جعل الفراعنة يدفنون موتاهم في الغرب حيث تنتقل الشمس غاربة من هذا العالم إلى العالم الآخر . . عالم الموتى والأشباح والأرواح والحساب . . ما الذى جعل الفراعنة يختارون الأماكن الجافة أو المنعدمة الرطوبة . . هناك اعتقاد بأن الحياة مستمرة . وأنه لا يوجد موت . وإنما الموت هو « حالة » ينتقل فيها الإنسان من حياة إلى حياة أخرى . والموت ليس موتاً تاماً . . وإنما هو تعطل للجسم وانطلاق للنفس أو للروح . . أو للقوى الحيوية أن تعمل في مكان آخر أو في عالم آخر . . وبعد الموت ينتقل الإنسان إلى دنيا النباتات أو الحيوانات . . أو إلى أن يكون نباتاً أو حيواناً . . أو تكون له طبيعة النبات أو قوة الحيوان . . أن الملك تحتمس الثالث قد وصف روحه هو فقال : إن لها قوة الثور المنتصر في حلبات مدينة طيبة .

وفي اللغة الفرعونية القديمة كلمات كثيرة تدل على أن الموت ليس إلا نوماً . . أو انتظاراً ليقظة أطول وأروع - أى يقظة مروعة أو رائعة .

وربما كان المؤرخ الإغريقى هيروdot الذي زار مصر في القرن الخامس قبل

الميلاد أول من حدث العالم الغربى عن الدفن والجنائز وعن التحنيط قبل ذلك عند الفراعنة ، وكيف أن أهل الميت يختارون نموذج التحنيط الذى يناسبهم اجتماعياً ومادياً . فالحنوطى - نسبة إلى كلمة الحنوط - أى الحانوتى يعرض على أسرة الميت نماذج مختلفة للتحنيط . ويعرض عليهم أسعارها . وهم الذين يختارون . ولكن فى معظم الأحوال يفضل أهل الميت أن يجيء « الحنوطى » ويفرغ أحشاء الميت ويصب فيها الزيوت المطهرة من المر والكافور واللبان التى يأتى بها الفراعنة من بلاط نبط - ربما هى بلاد الصومال الآن - ثم يضع الملح ويترك الميت سبعين يوماً . . وقد ذكر الأثرى المصرى د . زكى إسكندر تفاصيل كثيرة لهذه الطقوس فى واحد من كتبه .

أما الفقراء ، فإن « الحنوطى » يكتفى بإعطاء المليئات ، بعض المليئات ثم يفرغ أحشاءه . وقد تعلم الفراعنة استخدام الحقنة الشرجية من طائر « أبى قردان » الذى يملأ منقاره بالماء ويضعه فى مؤخرته فى كل مرة يصاب فيها بالإمساك !

ولا أحد يعرف بالضبط كيف تعلم « الحنوطى » هذا الفن . . لا بد أنه توارثه . ولا بد أن عدداً من الكهنة قد اشتغل بهذا الفن أول الأمر ثم تركه لغيره من الناس . وبرغم أهمية التحنيط فإن الرجل الذى يحنط الجثة لم يكن يلقي عظيم الاحترام . فقد حدث فى بعض عصور مصر القديمة إن كان أهل الميت يطاردون الحنوطى ويضربونه بالطوب - بعض الفلاحين - أو عندما ينزل الجنين ميتاً !

يفعلون ذلك الآن مع الطبيب أو مع الداية التى تأتى لهم بالأنثى أو عندما ينزل الجنين ميتاً !

يقول لنا المؤرخ ديودورس الصقلي أن الكهنة المصريين كانوا يعرفون الكثير. ولكنهم كانوا يضمنون بهذا العلم عن عامة الناس . ويقول إن واحداً منهم قد اعترف له بذلك . .

والمؤرخ هيرودوت قد روى لنا ذلك من قبل . . وأكد أن الكهنة لديهم علم غزير لا يباحون به إلا للملك . ولكنهم لم يسجلوه في ورق أو على الجدران . ولم يستبعد هيرودوت أن الكثير من العلم قد مات مع أصحابه من الكهنة . .

* * *

نعود مرة أخرى إلى ماسبق أن ذكرت في هذا المكان . من أنه من الممكن أن يعرف الفراعنة بالتجربة اليومية فوائد أشياء كثيرة ، وأن يتوارثوها ، دون أن يعرفوا الأساس العلمى لذلك . ونفس الشيء حدث في العصر الحديث في بلاد الصين . فقد عاشت الصين ألوف السنين تستخدم « الوخز بالإبر » لعلاج كثير من الأمراض . ونجح العلاج . ولكن أهل الصين القدامى كانوا يعتقدون أن في الجسم الإنسانى روحاً شريرة وأن هذه الروح تقتل بالوخز . وأن هناك أماكن ، أكثر من ٣٦٠ مكاناً ، لابد أن توضع فيها الإبرة ، فإذا وضعوها ببراعة بعض الوقت ، اختفى المرض أو اختفت قوى الشر .

وفي سنة ١٨٩٣ اهتدى طبيب كبير اسمه هنرى هيد إلى أنه من الممكن أن يكون الإنسان مصاباً في مكان ما في جسمه ، ويكون لهذه الإصابة أثر في مكان آخر . . كأن يكون الإنسان مصاباً في أسنانه أو في حلقه ثم يشكو من أوجاع في ركبتيه . ومعنى ذلك أيضاً أنه يمكن وخزه بالإبر في ركبتيه ليشفى من أوجاع أسنانه أو صداع في رأسه . . وهذا بالضبط ما يحدث في الوخز

بالإبر في العصر الحديث . ومن المؤكد طبيًا وعلميًا أن السوخز بالإبر ينفع في كثير من الأحيان . ولكن لسبب آخر غير أن يكون في الجسم الإنساني روح شريرة . فكان أهل الصين قد عرفوا الفائدة ، ولكنهم لم يعرفوا التفسير العلمي لذلك . . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن الفراعنة أيضاً . فقد هوجم الفكر الفلسفى والدينى عند الفراعنة من الأديان السماوية . واختلف المؤرخون ورجال الدين على أهمية المذاهب الدينية الفرعونية بها في ذلك ديانة التوحيد عند إخناتون . وناقش المؤرخون وجه الشبه بين موسى عليه السلام وبين إخناتون . . وقيل إنهما تعلميا في معهد ديني واحد ولم يختلف أحد على الحكمة التي امتاز بها موسى عليه السلام . . ولا اختلفوا على الجو الفكرى والدينى الذى وجدوه في مصر الفرعونية .

ولكن أحداً لم يختلف على القيمة العلمية لمصر الفرعونية . ولا كيف عرف الفراعنة الكثير من النظريات الطبية والفلكية . ولم يختلف أحد على القدر العظيم الذى بلغه الفراعنة في الهندسة والعمارة والزراعة والملاحة ابتداء من المؤرخ هيرودوت حتى أكثر العلماء تطوراً في العصر الحديث . وخصوصاً هؤلاء الذين أتوا بأجهزة لرصد الأشعة الكونية التي تنفذ من بناء الأهرام لمعرفة مداخله وحجراته ومحتوياته .

ولا على هؤلاء الذين يدرسون عالم الروح واستخدام الفراعنة للأرواح والأشباح والسحر . . ولا كيف أنهم اهتموا إلى سر الأرقام وقوى الحروف وكيف أنهم استخدموا القوى الخفية في السيطرة على الناس وعلى الأشياء .

نعود مرة أخرى إلى تجربة مثيرة قام بها طبيب ألماني اسمه أرفين سانتو . والشئ العجيب هو أن هذه البكتريا قد استخراجها ميتة من جسم مات من

٣٥٠٠ سنة وذلك بأن وضعها في محاليل غذائية بها محلون الليثيوم لمدة ١٧ ساعة . وتحركت . ثم عاشت . وكان ذلك حدثاً علمياً جليلاً .

أما المعنى فهو أن الجسم إذا مات ، كان معنى ذلك أنه لم يمت تماماً . وإنما في داخل الجسم الإنسانى نوع من الحياة الكامنة . . . أو الحياة المتحفزة . فإذا أعطيت لهذه الحياة ، أو لهذه الأحياء ، فرصة أو جواً أو مناخاً فإنها تعيش .

فهل كان « إيمان » الفراغنة بالحياة بعد الموت مجرد إحساس دينى قوى ؟ هل هو اعتقاد علمى ؟ هل هو دين عند عامة الشعب : وعلم عند الكهنة ؟

وفي سنة ١٩٥١ هزت عالمة روسية اسمها لبشسكايا العالم ، عندما أعلنت أن بعض الخلايا يمكن إحيائها مرة أخرى . فقد اهتدت إلى أن هناك نوعاً من الخلايا « ناقلة الحياة » من الممكن أن تقفز من كريات دموية متآكلة . . وهى التى قالت أيضاً : لا شىء ينتهى . لا شىء يموت كله . وإنما يموت بعضه . . وتظل هناك خلايا تحمل مشعل الحياة . تماماً كما ينام أهل البيت ويظل هناك بعض الحراس يشعلون سجائرهم ويتسامرون فالبيت قد نام أو مات إلا قليلاً !

وفي ورقة بردى في برلين تحمل رقم ٣٠٢٤ مثل هذه العبارة الغريبة العجيبة : مات . ولكن هناك روحه تحرسه . إنها ليست بعيدة عنه . . إنها متصلة به كذراعه أو كساقه . إنه ينتظر الانتقال الذى يوقظه ويحييه . . إنه لم يمت تماماً !

وهناك مصدر جديد لا يقل غرابة عن هذه الورقة البردية . ففي يوم ٤ مايو سنة ١٩٣٦ جلس جماعة من المشتغلين بالأرواح في لندن وأعلن الوسيط أن روحاً من الأسرة الثامنة عشرة قد حلت بجسده . وأنها مسيطرة عليه تماماً وأنها سوف تتكلم باللغة الفرعونية القديمة .

وبدأت ظاهرة معروفة عند الروحانيين بظاهرة « الاستغراب » أو « التغيريب » أى أن الوسيط يتكلم لغة لا يعرفها ولم يدرسها . . وهذا ما حدث . فقد كانت المتكلمة سيدة اسمها « تليكا » . . ثم قدمت نفسها بأنها « نونا » أى التى ليس لها اسم . وأنها حددت بالضبط العصر الذى عاشت فيه وغرقت فيه أيضاً . هذه السيدة هى ابنة ملك بابل التى تزوجها أمنتحتب الثالث أبو أخناتون . وبمراجعة آثار « تل العمارنة » اهتدى علماء الآثار إلى أن هذه السيدة هى الوحيدة من زوجات الملك التى ليس لها اسم . فقد محوا اسمها من كل الآثار . . ثم إنهم أغرقوها فى النيل قبل ذلك . فقد كان لها سلطان عظيم على الملك .

وبتسجيل صوت « الوسيط » وعرض كل الذى راحت تهذى به على علماء الآثار أكدوا أن هذه لغة فرعونية صحيحة . وأن هذا الذى قالته يكشف عدداً من الحقائق قد حار المؤرخون فى الوصول إليها . فلم يكن أحد يعرف أين ذهبت الزوجة البابلية . . ولا لماذا لم يرد اسمها فى أى أثر . .

أخطر من ذلك أن « تليكا » هذه قد كشفت عن طريق « الوسيط » كثيراً من أسرار الحياة وعلم الكهنة . . فمثلاً قالت : إن الفراعنة كانوا يعرفون الكهرباء . . وأنهم كانوا يعرفون أشياء كثيرة عن الجاذبية الأرضية . ولكنهم كانوا يفضلون استخدام الكيمياء أو التفاعلات الكيماوية ، وأنهم اهتموا إلى

سر الكثير من المواد . .

وعندما تحدثت عن كيفية بناء الأهرامات قالت : ليس صحيحاً أن الفراعنة قد لجأوا إلى السخرة في بناء الهرم . وإنما كانت لديهم وسائل عجيبة لرفع الأحجار ولصقها وتثبيتها كما كانت لديهم أجهزة خاصة لرصد الفلك .

وقالت أيضاً : لقد كان الكهنة هم مصدر العلم وهم في نفس الوقت حارسو كنوز العلم والمعرفة . وأنه سوف يجيء يوم قريب يكتشف العلم الحديث فيه كيف أن الفراعنة قد سبقوهم في كل ما اهتموا إليه . .

هذا التسجيل الصوتي عمره أربعون عاماً وقد نقله علماء كبار وترجمه إلى اللغات الأوروبية علماء كبار . وشهد آخرون بأن « الوسيط » هذا لم يكن يعرف حرفاً واحداً من اللغة الفرعونية القديمة .

فما الذي فعله الكهنة ، أى العلماء الكبار في مصر القديمة ، من أجل الدفاع عن موتاهم العظام . . ما الذي أخفوه عنا ؟ وكيف ؟ وإلى متى ؟ إن المؤتمر الصحفى الذى عقده في القاهرة د . عز الدين طه وبصورة مفاجئة كان قبلة علمية وكان تغييراً لمسار البحث العلمى عن هذا الذى نسميه (لغة الفراعنة) كما سوف نرى !

وعادل خروشوف عن دخول السم

كان أنطونيو يخاف أن تضع له كليوبطرة السم في
أى شىء في أى وقت . فكان لا يذوق شيئاً لم تذقه هى
حتى أتوا له بكأس من النبيذ ونزعت كليوبطرة زهرة من
شعرها وألقت بها في الكأس . وامتدت يده ولكنها
منعته . وأتت بواحد من عبيدها وأمرته أن يشرب
الكأس . ولما شربها سقط ميتاً فقد وضعت السم في
الزهرة . . أرادت أن تقول أنها تستطيع أن تقتله ولكنها
لم تشأ !

ولما كان يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٦٢ حدث شىء غير مألوف في مدينة
القاهرة . لقد عقد د . عز الدين طه مؤتمراً صحفياً . إنه أحد علماء البيولوجيا
في مصر . . لقد اهتدى إلى شىء عظيم وأراد أن ينقله إلى كل الناس . لقد
درس حالة عدد من الأثريين والموظفين في الآثار الذين ماتوا في ظروف
وبحالات غريبة والناس من حولهم : إنها لعنة الفراعنة !

أما هو فله رأى آخر : لقد لاحظ أن هؤلاء المصابين كانوا يعانون من مرض

اسمه « هرشة الأقباط » . وهى عبارة عن التهاب جلدى وضيق فى التنفس .
أما السبب الذى اهتدى إليه د . عز الدين طه فهو : وجود بعض الفطريات .
وهذه الفطريات قد رآها تحت الميكروسكوب الإلكتروني . ولكن د . عز
الدين طه لم يقطع بأن هذا هو التفسير العلمى الوحيد لما يسميه الناس « لعنة
الفراغنة » . وإنما قال : ربما كان هذا أحد الأسباب . ولذلك ضرب د . عز
الدين طه مثلاً عالياً للعالم الدقيق فى بحثه وفى النتائج التى بلغها !

لولا أن د . عز الدين طه قد أصابته « لعنة الفراغنة » . . فبينما كان فى
سيارته متجهاً إلى السويس اعترضته سيارة أخرى . فصدمته ومعه اثنان من
مساعديه . فتوفى فى الحال بعد دقائق من مؤتمره الصحفى .

* * *

وقبل ذلك بمائة عام فى جنوب أفريقيا ذهب طبيب اسمه د . جون وايلس
إلى مغارات جبال روديسيا يبحث فى مخلفات الخفافيش . ودخل مغارة تحت
الأرض بمائة وخمسين متراً . وفجأة وجد جبلاً معلقاً فى الظلام . ولم يكن هذا
الجبـل سوى ألوف الخفافيش قد تماسك بعضها فى بعض . وتحركت كلها فى
وقت واحد . . وهرب الرجل إلى خارج المغارة . وكان الهدف من هذه الزيارة
أنه يريد أن يبحث عن طريقة للاستفادة من مخلفات الخفافيش كأسمدة
عضوية . هذا الرجل ما الذى أصابه : التهاب رئوى . . وجرب جلدى
عنيف . ولما نقل إلى أحد المستشفيات أرسلوا عينته من دمه إلى أمريكا . وفى
أمريكا شخص الأطباء مرضه بأنه نفس المرض الذى أصيب به الأثريون
الأمريكان وهم ينقبون فى وديان جمهورية بيرو عن الحضارة القديمة للانكاس .
فهل هى تشبه لعنة الفراغنة ؟

وفي ممرات أوروبا أصيب العمال وهم يحفرون الجبال بنفس المرض .
وخصوصاً عند حفر ممر « سان جوتار » وشخص الأطباء مرض العمال بأنه
« نوع من فقر الدم الحاد » . وأطلق عليه الأطباء اسم مرض عمال الأنفاق
والمناجم . ولاحظ الأطباء في مخلفات المرضى نوعاً من « الديدان الصنارية »
ثم الديدان الشريطية . واكتشف الأطباء أن الدودة الصنارية لها غدتان عند
الأذين تفرزان مادة سامة . هذه المادة السامة تصل إلى الجهاز التنفسي عن
طريق الأوعية الدموية في الأمعاء فتقضى على الكريات الحمراء . . ربما كانت
هذه الطفيليات مثل لعنة الفراعنة . ولكن هذه الطفيليات ترهق الجسم
ولكنها لا تقتله !

ولكن ليس مستبعداً أن يلجأ الكهنة في حمايتهم للملك إلى استخدام
السموم . فالكهنة قد عرفوا السموم واستخدموها . والوثائق التاريخية تؤكد
ذلك . بل إن الملك مينا نفسه قد زرع أشجار السموم . . وكان الإغريق
القدامى يستوردون السموم من مصر . نفس السموم التي انتحرت بها سقراط . .
بل إن حاكماً لآسيا الصغرى (تركيا الآن) كان يخشى أعداءه أن يضعوا له
السم . هذا الحاكم اسمه يثيريت كان يضع لنفسه السم في طعامه ليعتاد
جسمه عليه ، حتى إذا شرب الكأس المسمومة التي يتوقعها ، لم تكن آلامه
مبرحة !

وكليوبطرة كانت تعطي السم لخصومها . وهى يوم وضعت زهرتها
المسمومة لأنطونيو ، وكاد يشربها فيموت ، نادى واحداً من عبيدها وشرب
الكأس ومات . فقالت لأنطونيو : لقد وضعت السم في أوراق الزهرة ولو
كنت أريد قتلك لقتلتك . ولكنى لا أريد ! .

وفي سفر « العدد » من التوراة حكاية فرعونية قديمة . أنهم كانوا يأتون بالمرأة الخائنة ويعطونها شراباً مسموماً . فإذا شربته اعترفت بخطاياها . . إن هذا السم هو نوع من اكتشاف الكذب .

وفي برديات ايرز الفرعونية تحذير من سموم العقارب والعناكب والثعابين . والترياق الذى يشفى منها . ومن بين الأطعمة التى يتعاطاها الفراعنة للشفاء من السموم : عسل النحل ومخلفات الفتيات الصغيرة وعجل البحر . .

ولابد أن الفراعنة قد عرفوا خواص السموم . . فهناك سموم إذا تعرضت لدرجات حرارة عالية فسدت ، أو إذا تعرضت للأشعة فوق البنفسجية . ولذلك فالقبور الفرعونية والأهرامات تحتفظ لهذه السموم بخواصها القاتلة .

* * *

وقد اكتشف طبيب ألماني اسمه كونو ماير سر تقديس الفراعنة للضفادع . ففي سنة ١٩٥٠ لاحظ أن وراء أذن الضفدعة توجد غدة تفرز ١٢ نوعاً من السموم الفتاكة . فليس غريباً أن تلقى الضفادع هذا الاحترام العظيم عند الفراعنة !

وإذا كان الفراعنة يعرفون السموم ، فإنهم أيضاً يعرفون خصائص «النباتات السحرية» . أما هذه النباتات فقد وصفها هيرودوت بأنها : الفجل والبصل والثوم . وكان منقوشاً على السطح الخارجى للهرم مقدار ما استهلكه العمال المصريون من هذه النباتات للوقاية من الأمراض والأوبئة والسموم . وبلغ عدد العمال الذين ماتوا أثناء بناء الهرم حوالى ١٨٥ ألفاً .

وأخيراً اكتشف الطبيب السويسرى د . بيشير فى كتابه « العقاقير
سحرية» أن الفجل المصرى به مادة اسمها « رفانين » سهلة للذوبان فى الماء ،
وأن هذه المادة تستخدم فى علاج الأمراض الرئوية !

* * *

وقصة الحكيم أمحتب مع زوجته من المعجزات الطيبة . . فزوجته كانت
تشكو من مرض « التراخوما » - أى التهاب الملتحمة فى عينها . وقد تعب فى
علاجها . ويقال إنه أتى بخنفساء وغلاها فى الزيت . ثم شطرها نصفين .
ووضع كل نصف على عين زوجته . ولم يفلح هذا العلاج . ثم عاد فصنع
عجينة ووضعها على الجفنين من الخارج . وشفيت الزوجة . وكاد أمحتب يقول
بأن هناك نوعاً من « الديدان الصغيرة » أو الميكروب أو البكتريا . . ولكنه كان
من المستحيل أن يقول ذلك لأنه فى حاجة إلى ميكروسكوب ! . .

أما العلم الحديث جدًّا فهو يقرب من الفكر الفرعونى أو الطب الفرعونى
فقد اهتمدى العلماء إلى نوع من السموم اسمه « سم الموتى » . هذا السم يظهر
عندما يتحلل الجسم الإنسانى . . وهذا السم لا يخرج من الجسم نفسه ،
وإنما من المواد التى يضعها « الحنوطى » - الحانوتى - على جسم الميت . . ثم
إذا تعرضت للهواء . . صحيح أن الجسم الحى ، أى جسم ، يفرز مادة
اسمها « الأجسام المضادة » . مهمتها أن تقاوم السموم التى تنفذ إلى جسم
الإنسان كل يوم . ومن المهم جدًّا أن نسأل : هل تحتفظ هذه السموم
بفاعليتها ألوف السنين ؟ ولماذا . . ؟ .

هناك بعض السموم العادية تفقد فاعليتها إذا تعرضت للهواء أو للضوء .
ولكن سموم الموتى الفراعنة ظلت قوية المفعول عشرات القرون . والسبب أن

بعض البكتريا لا تحتاج إلى الأوكسيجين لكى تعيش ، لأنها تتعذى على المواد النباتية والحيوانية مثل الدهون والبروتين . . وهذا هو السبب فى أن جثث الملوك تظهر سوداء .

وقد اكتشف العلماء أيضاً أن بعض البكتريا الحية تفرز سموماً تؤدى إلى مرض الدفتيريا . . وبعضها قد أدى بالفعل إلى الإصابة بالالتهاب السحائى فى المخ - وهذا بالضبط هو الذى أصاب أكثر الأثريين فى مصر !

هل يمكن أن يقال إن الفراعنة قد اكتشفوا الغازات المهلكة للأعصاب ؟ والجواب على ذلك : نعم . . لأن هذه الغازات عبارة عن أبخرة بسبب التحلل للأجسام الملكية التى ماتت . ومن هذا التحلل تخرج هذه الأبخرة التى تدخل أنف كل من يفتح مقبرة . . أو يقرب من المقبرة الملكية . وخاصة أن بعض المقابر كانت بها فتحات .

وهذه الغازات السامة تعتبر الآن من « الأسلحة القتالية » . فكل من أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا قد صنعتت الغازات السامة أو الأسلحة الكيميائية أو الميكروبية . وبرغم أنها جميعاً قد وقعت على اتفاقية لاهى سنة ١٨٩٩ واتفاقية جنيف المعدلة سنة ١٩٢٥ ، فإن كل دولة لديها مايزيد عن حاجتها من هذه الغازات التى لاتقضى على الإنسان فقط ، وإنما على الإنسانية كلها - إذا أرادت ! ومن المؤكد أن الفراعنة عرفوا ذلك . فهم قد عرفوا الفطريات التى تظهر على القمح . وتؤدى هذه الفطريات إلى الإصابة « بالنار الباردة » أى بالهرش العنيف والتقلصات فى العضلات والهلوسة بعد ذلك . . وقد عانت فرنسا وهولندا من فطريات القمح هذه فى سنة ١٨٢٨ وكذلك ألمانيا سنة ١٨٥٥ . وتمكن العلماء من استخلاص مواد سامة من فطريات

القمح هذه . ومن المؤكد علمياً الآن أن الفراعنة قد عرفوا أضرار هذه السموم واستخدموها . ولذلك ليس غريباً أن نجد هذه العبارة عند مقبرة توت عنخ آمون : « سوف يضربك الموت بجناحيه يا من تقلق سلام الملك ! »

ومن أهم أعراض سموم فطريات القمح هذه الهبوط المستمر والهلوسة والشلل . وإذا عدنا إلى أوائل الذين أصابتهم لعنة الفراعنة بسبب اشتراكهم في فتح مقبرة توت عنخ آمون . فسوف نجد المكتشف كارتر . . ثم والد سكرتيره الذى أصيب بحالة هلوسة ثم ألقى بنفسه من البلكونة فمات . ثم الطبيب إيلين هويت الذى أصيب بانحيار عصبى . وكان يقول للأطباء : لا علاج لى . . إننى أعرف السبب !

وكان يعرف « اللعنة » وظل وحيداً حتى الموت ! .

وكذلك د . زكريا غنيم كبير مفتشى الآثار الذى انتحر أيضاً !

والذى يقرأ كتاب « السموم التاريخية » المشهور يجد أن الفراعنة قد عرفوا السموم ذات الرائحة . . والسموم التى لا رائحة لها . . والسموم التى تغلى عند درجة ٢٦ مئوية وتكون لها أبخرة . . والسموم التى تقتل باللمس ، والتى تقتل بالرائحة . . والتى تقتل إذا لامست الأوكسيجين . . وعرفوا السموم المسحوقة والسموم النباتية المائية . . والسموم التى فى الحشرات الميتة فى المقابر . . والسموم التى تخرج من فتحات المقابر فى نفس اللحظة التى يقترب منها اللصوص . .

إن الذى حدث للسجين رقم ٦٦٩٥٦ فى زنزانته بسجن سان كونن يوم ٢ مايو سنة ١٩٦٠ والمعروف باسم كارل تشمان والذى أفرج عنه ثمانى مرات

قبل إعدامه . . هذا السجين مات بالضبط كما لو كان في أيام مصر الفرعونية . لقد أدخلوه الزنزانة وأجلسوه على الكرسي وسحبوا الأرض من تحته . . وفي هذه اللحظة انفتحت أنبوبة . . في الأنبوبة سم راح يغلى بمجرد تعرضه للهواء . . وخرجت الأبخرة فمات السجين بعد نصف دقيقة وهو لا يدري أنه مات . .

وبرغم أن هذه التفسيرات العلمية تساعد إلى حد كبير على فهم هذه الاحتمالات العجيبة التى وضعها الكهنة - أطباء وحكماء وعلماء مصر القديمة - خوفاً على حياة المومياة الملكية ، فإن هناك حوادث يصعب تفسيرها . وربما هذا الخوف هو الذى دفع المخابرات السوفيتية إلى أن تبعث ببرقية لخروشوف تقول له : لا تدخل الهرم الأكبر لأى سبب !

ولم يدخل خروشوف الهرم ، ولم تذكر روسيا أى تفسير لذلك - كما سنرى .

* * *

إنها قوة خفية تعطل قوانين الطبيعة

احترس هنا مواد مشعة ! جاءت هذه العبارة على لوحة من الرخام بالقرب من شلالات إيداهو بأمريكا فلم تكن هذه المواد المشعة سوى ثلاث جثث لخبراء ماتوا في داخل مفاعل ذرى أصابه خلل في الساعة التاسعة ودقيقة واحدة من صباح ٣ يناير سنة ١٩٦١ . واستغرق هذا الخلل جزءا على عشرين ألفاً من الثانية . وفي ذلك اليوم جاءت روافع إليكترونية وحملت الجثث وألقت بها في توابيت من الأسمنت المسلح المبطن بالرصاص . والذي ينظر إلى وجوه الموتى الثلاثة ، يجد ذلك الهدوء العجيب الذى نعرفه في الموتى من علماء الآثار . . إن نوعاً من الهدوء الخائف ، أو الخوف الهادئ هو أهم ما يميز ضحايا اللعنة الفرعونية !

وفي عام ١٩٤٩ أعلن عالم الذرة الكبير بولجارينى يقول : إننى أعتقد أن الفراعنة قد عرفوا جيداً قوانين التفكك الذرى . . وأعتقد أيضاً أن الكهنة كانوا

يعرفون اليورانيوم . ولا أستبعد أنهم استخدموا المواد المشعة في حماية موتاهم بعيداً عن أيدي لصوص المقابر .

فهل لعنة الفراعنة هى هذا الدرع الذى لحماية موتاهم العظام : يقول بولجارينى أيضاً : إن أرضية المقابر الفرعونية يمكن تغطيتها باليورانيوم ويمكن وضع أى قدر من الأحجار ذات الإشعاع فيها أو على جدرانها . . وهذه الإشعاعات فى استطاعتها أن تقتل وبسرعة .

ولو رجعنا إلى سنة ١٨٩٩ لوجدنا العالم الفرنسى بيكريل قد اكتشف أن أملاح اليورانيوم تنطلق منها إشعاعات تشبه أشعة إكس - الأشعة السينية واهتدى العالم الألمانى رتنجن إلى نفس الشئ . فكلاهما قد اكتشف بالضبط ما اهتدى إليه الفراعنة من ألوف السنين . . وعلى أثر هذا الاكتشاف الحديث انتشرت موضة الساعات ذات الأرقام المضيئة . وكانت مصانع الساعات تستعين بالسيدات والأطفال فى وضع النقط الفوسفورية المضيئة على واجهة الساعة . وقد أدى استخدام هذه المواد المشعة إلى وفاة ٤٢ عاملة بالسرطان . ولم يعرف أحد سبب هذا النوع من الوفاة . . تماماً كما حدث لعلماء الآثار . وكانت أعراض الجميع واحدة . الإرهاق الشديد . الهبوط المستمر . . والاضطرابات المخية . . ثم الوفاة قبل الأوان !

ومن المؤكد أن القليل من المواد المشعة يكفى للقتل . . والمواد المشعة تختلف تماماً عن السموم . . فالسموم يمكن إبطال مفعولها . . أما المواد المشعة فهى تزايد ولا تنقص ثم إنها تبقى فى الجسم ولا تتحول كيميائياً إلى شئ آخر . ووجودها يؤدى إلى خلل فى بناء الخلايا .

وأمامنا ألوف الأمثلة في اليابان بعد انفجار قنبلتى مدينتى هيروشيما ونجازاكى . فقد كان معدل الوفاة بسبب الإشعاع الذرى ٢٠٠ سنويا . و١٥٠ تشوهاً خلقياً . ومن الحوادث المعروفة أن زورق صيد يابانياً قد سقط عليه مطر ذرى - أى مطر ملوث بالغبار الذرى - وكان ذلك فى أول مارس عام ١٩٥٤ بسبب قنبلة هيدروجينية فجرها الأمريكان فى جزر مارشال ، فمات ثلاثون بحاراً فوراً . . أما العشرون الباقون فقد ظهر عليهم الإعياء والضعف واهزال والهلوسة والإغماء حتى الموت - تماماً ككل علماء الآثار المصرية ! .

وقد ذكرت قبل الآن أن سبب إصابة علماء الآثار ولصوص القبور أيضاً هو إما الروائح التى تنبعث من القبر نفسه . . أو من تحلل المواد المشعة فى داخل المقبرة . . أو الأبخرة التى تنطلق من تحلل مواد التحنيط حول جسم الملك . . أو هى جميعاً بعد أن تضاف إليها إشعاعات المعادن والتعاويد الموجودة فى التابوت .

ومن أعجب الحوادث فى العصر الحديث ما أصاب قبطان الباخرة «تيتانيك» التى اصطدمت بأحد جبال الجليد فغرقت يوم ١٤ أبريل سنة ١٩١٢ ، وكانت أجمل وأكبر وأروع وأسرع البواخر التى ابتدعها الإنسان . وكانت الباخرة تحمل ٣٢٠٠ راكب مات منهم ١٥٠٠ و٤٠ طن بطاطس و ١٢ ألف زجاجة مياه معدنية و ١٧ ألف كيس بن و ٣٥ ألف بيضة .

وأعجب من ذلك أنها كانت تحمل مومياء فرعونية لواحدة من الكاهنات أو إحدى الأنبياء فى عصر الملك إخناتون ، وكانت هذه المومياء فى طريقها إلى أمريكا . . وقد كان قبطان الباخرة واسمه الكابتن سميث قد خاف على تابوت هذه الكاهنة فوضعه بالضبط وراء غرفة القيادة . وكانت هذه الكاهنة

قد عثروا عليها في معبد في تل العمارنة اسمه « معبد العيون » . وكانت صاحبة المومياء تحمل تعويذة تحت رأسها مكتوباً عليها : « انهض من سباتك يا أوزوريس . فنظرة من عينيك تقضى على أعدائك الذين انتهكوا حرمتك المقدسة ! » .

ولا أحد يعرف بالضبط لماذا كان كابتن السفينة مجنوناً قبل أن تغرق السفينة بيوم واحد . . . ولا لماذا أصر على أن يقود هو السفينة . وهل صحيح أن الكابتن كان مخموراً أو كان مجنوناً ! ولماذا راح يصرخ طول الليل ويقول : الأشباح ! العفاريت ! إننى سيد هذه الجزيرة العائمة ! أفعل بها ما أشاء !

مع أن أحداً لم يكن يناقشه في ذلك اليوم . فهو سيد السفينة لا جدال ثم إنه لا داعى مطلقاً لأن يتولى قيادة السفينة وكل شىء فيها وحولها هادئ تماماً؟! .

لابد أن الفراعنة عرفوا المواد المشعة . .

ونحن نعرف أن اليورانيوم إنما يوجد في المناجم التى يوجد بها الذهب . والمصريون قد عرفوا الذهب . . وكانت لهم مناجم ، وليس من المعروف الآن إن كانت هذه المناجم ماتزال عامرة بالذهب . . ولكن من الاكتشافات الغامضة أن علماء الآثار عندما نزلوا في أحد المناجم ، وجدوا نقشاً على الحائط يقول : هنا الكاتب إحتب ! فما الذى يفعله الكاتب في هذا المكان . ؟ ليس صدفة أن ينقشوه تحت الأرض . . ولكن السبب ليس معروفاً عند أحد . .

إنهم الكهنة الذين يعرفون . . وهم الذين يخفون علمهم معهم في قبورهم

بعيداً عن الناس .

وعندما ننظر إلى حضارة مصر الفرعونية سوف تكون الأهرامات في قمة الألباز العلمفة . . لا أحد يعرف لماذا بنوها ؟ ولماذا اختاروا هذا الشكل بالذات ؟ وكيف استطاعوا بهذا الاقتدار المنظم أن يصمموها دون خطأ وبدقة فلكفة ماهرة .

إن عالم الففزفاء لوفس الفارفزف - أو الفارفزف - الحائز على جائزة نوبل والذى قرر سنة ١٩٦٥ الاستعانة بالأشعة الكونفة فى معرفة أسرار هرم خفرع فؤكد أن الفراعنة قد عرفوا أشياء كثرفة لم نهتد إليها بعد .

فقد جاء العالم الفارفزف بثلاثفن طناً من الأجهزة ووضعتها فى داخل الهرم وفى أماكن مخرلفة . . إنه فررد أن يعرف إن كانت هناك غرفة أخرى فى هرم خفرع فر غير التى اكتشفها سنة ١٨٨٠ العالم الأثرى الإطالى بلسونى . ولم فكد الفارفزف فكممل تركيب الأجهزة حتى نشبت حرب ١٩٦٧ . وعاد بعد نهاية هذه الحرب ففرى أبحاثه مستعفنًا بكبار العلماء المصرفن : د . أحمد فخرى الأثرى المعروف و د . ففتحى البففىوى عالم الففزفاء النووفة . وانتهى الفارفزف من أبحاثه إلى أن هرم خفرع لفسب به إلا غرفة واحدة .

ونظرفة الفارفزف تعتمد على التقاط الأشعة الكونفة التى تتحول إلى ذرات مفزون قادرة على النفاذ من أفة مادة . هذه الذرات سوف تكون أسرع فى اتجاهها إلى الأجهزة إذا صادفت ففرفعا أو غرفة فى داخل الهرم .

وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب الحفبث فى الأشعة الكونفة قد حدد أنه لا فوجد غرفة أخرى ، فإن العلم لم ففب لنا إجابة عن هذا

السؤال : ولماذا الهرم ؟ أى ولماذا الشكل الهرمى ؟

وفى سنة ١٩٦٤ زارنا خروشوف سكرتير الحزب الشيوعى السوفييتى . . وأقام فى مصر ١٦ يوماً وشهد تحويل مجرى النيل . . وكان من الطبيعى أن يذهب إلى مينا هاوس التى أنشئت قبل ذلك بمائة عام ، وأن يسمع قصة تشرشل وروزفلت وتشانج كاي شيك الذين اجتمعوا فى هذا المكان سنة ١٩٤٣ . . وقد قيل له أن تشرشل وتشانج كاي شيك قد دخلا الهرم . أما روزفلت فلم يدخل فقد كان مشلولاً يتحرك على عجلات . وكان من المتفق عليه أن يدخل خروشوف الهرم الأكبر . . لولا أن جاءت بريقة عاجلة من المخابرات السوفييتية من موسكو تقول : ننصح بشدة ألا تدخلوا الهرم الأكبر!

ولم يدخل خروشوف الهرم . . ولا اعتذر عن البرنامج الذى أعد له . ولا أعلنت السفارة تفسيراً أو تبريراً لهذا التغيير المفاجئ !

فما الذى أخاف الروس من الهرم الأكبر ؟

إن فى مصر ٦٩ هرمًا . . وهذه الأهرامات لم تظهر فجأة على أرض مصر . . وإنما هى صورة للتطور المعمارى والعلمى . . فقد قام المهندسون المصريون بتجارب عديدة من أجل بناء الهرم ابتداء من الملك سنفرو حتى الملك خوفو . . فهل هذه الأهرامات مقابر للملوك ؟ هل هى مخازن للأسرار العلمية والفلكية والطبية ؟

إننا لانعرف بالضبط . . أن هرم خوفو الذى استغرق بناؤه عشرين عاماً قد عدله المهندس ثلاث مرات . . ولكن هذا التعديل يضاعف من دهشة العلماء والمهندسين . . إن المصريين كانوا يستخدمون مقياساً اسمه « ال » أو « عل » وهو عبارة عن سبعة أشبار وكل شبر أربع أصابع . . وقاعدة الهرم وحدها

٢٤, ٣٦٥ «ل» وهو بالضبط عدد أيام السنة الشمسية تماماً ووفقاً لأحدث المقاييس الفلكية ! وعلى الرغم من أن الـ «ال» هذا ليس مقياساً دقيقاً . فإن أبعاد الهرم طولاً وعرضاً وحجماً ووزناً في غاية الدقة .

ومن الملاحظ أن التحنيط الشديد التعقيد كان سابقاً على بناء الأهرامات . فلما بنيت الأهرامات لم يعد « الحنوطى » - أى الحانوتى يلجأ إلى استخدام المواد الكثيرة لحماية جثمان الميت . . لماذا ؟ لأن الشكل الهرمى هو أنسب الأشكال لحفظ الجثث من التعفن . . وحفظ اللحوم جميعاً من التعفن - كما ذكرت من قبل .

والشئ الغريب أن هذا الشكل الهرمى يصيب العقل بالخلل أو بالخليل - حدث ذلك مئات المرات . . والمرشدون السياحيون يعلمون هذه الحقيقة . . فكثيراً ما صرخ السياح . . أو أغمى على سائحة عندما أحست بضربة في بطنها أو رأسها . . ولم يكن هناك أى أحد بالقرب منها - لعل ذلك هو الذى أفزع المخابرات السوفيتية على رجلها في القاهرة .

إن قصة بول بروتون البريطانى الذى استأذن مصلحة الآثار المصرية فى أن يبيت ليلة فى غرفة الملك أحمدس نموذج لذلك . . يقول فى مذكراته : « أمضيت بضع ساعات فى الممر الكبير . . ثم اتجهت فى ضوء مصباح إلى غرفة الملك . . واتجهت إلى أحد أركانها وبدأ بعد ذلك الفزع الأكبر . . صفير فى أذنى . . وشرر يخرج من عينى أو يدخل عينى . . ورائحة ثقيلة تضغط على صدرى . . وإحساس بأن أمامى أشباحاً وأشكالاً مروعة تروح وتجىء . . تقرب وتبتعد والأرض من تحتى تعلو . . . والسقف من فوقى يهبط . . وجسمى ينتفخ . . ثم يتضاءل . . ولسانى لايطاوعنى عندما أحاول أن أبتلع ريقى . . ثم إننى لا أجد ريقى . . وأخيراً وجدتنى عاجزاً عن الصراخ وكان

العرق جليدياً . . وحاولت أن أتسلل من الغرفة ولكننى وجدت نفسى مشلولاً تماماً .

وفى سنة ١٩٤٢ توفى اثنان من علماء الآثار . . وربما كان هذا الحادث هو الذى لفت عيون العلماء فى العالم كله إلى هذه اللعنة الفرعونية .

ففى مدينة القدس يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٤٢ توفى العالم البريطانى فلندرر بترى .

وتوفى قبله العالم الأمريكى جورج ريزنر . . وكان هذا الرجل هو الذى اكتشف مقبرة أم الملك خوفو . . وهو أول من أذاع حديثاً فى الراديو من غرفة الملك فى هرم خوفو سنة ١٩٣٩ . . هذا الرجل توفى فى ربيع سنة ١٩٤٢ . . لقد دخل الهرم الأكبر ، واستلقى مرهقاً فى غرفة الملك . . ثم شعر بهبوط شديد . . وحملوه إلى خارج الغرفة . . ونقلوه إلى خيمة له بالقرب من الهرم مغمى عليه حتى الموت !

هل هو شكل الهرم ؟ هل هناك موجات كهربية لا نعرفها ؟ هل هذا الشكل الهرمى يحتجز الطاقة ثم يطلقها ؟ هل هو يكتف الأشعة ثم يصيب بها من يزورونه ؟ إن أحداً لا يدرى تماماً !

إن الزعيم الشيوعى فريدريش إنجلز قد أعلن فى سنة ١٨٧٨ أن حرب بروسيا وفرنسا قد اعتمدت على أعظم مستويات العلم الحديث فى ذلك الوقت . . لأنها استخدمت المدافع التى تلقى قذائفها على الجنود من بعيد ! إن هذه العبارة تضحكننا الآن ! فقد تجاوز العلم مرحلة استخدام المدافع . . لقد استخدم القنابل الذرية . حتى القنابل الذرية أصبحت موضة قديمة . فقد ظهر شىء أحدث من ذلك . . ظهرت أشعة « الليزر » التى اكتشفت سنة

١٩٦٠ هذه الأشعة عبارة عن تكثيف الأشعة الضوئية ، وإطلاقها على شىء فتنفذ منه إن الإنسان يستخدم الليزر في حفر الأنفاق وفي ترقيع قرنية العين أيضاً !

ولنفرض أن د . تيودور مايمان الذى اكتشف الليزر قد اتفق مع رجاله على أن يحتفظوا بسر هذه الأشعة . . وأن الذى يبوح بها سوف يقتله فوراً . . وأنهم أفلوا على أنفسهم أحد المعامل ثم ماتوا . . وبعد أن ماتوا وجدنا عندهم مصابيح فى داخلها أسلاك حلزونية . . فهل كان يتصور أحد أن هؤلاء العلماء - أو الكهنة - قد عرفوا أشعة الموت . هل يتصور أحد أن المصباح العادى جداً إذا قمنا بتكثيف ضوئه تصبح أشعته مميتة . فمن الذى يستطيع أن يقول لنا بالضبط ما هذا الذى عرفه الفراعنة . ؟ ما هذا الذى اهتدى إليه الكهنة ؟ ماذا تقول هذه المخلفات العادية جداً التى تركوها وراءهم . . إنها لاتزيد عن هذه المصابيح التى يمكن أن يتركها مكتشفو أشعة ليزر .

ولكن عالماً مصرياً اسمه د . عمر جهيد قد أعلن فى سنة ١٩٦٩ أن الذى يحدث داخل هرم خفرع يتناقض مع كل قوانين العلم الحديث والإلكترونيات!

وكان د . عمر جهيد هذا يتحدث عن الأشرطة الضوئية والصوتية التى سجلتها الأجهزة التى وضعها د . الفاريز تحت وفى داخل هرم خفرع . وقال د . جهيد أيضاً : « إن الذى أراه أمامى شىء غير طبيعى . . إما أن تكون هناك غلطة كبرى فى الهرم نفسه فتؤثر فى هذه الأجهزة ما ترصده . وإما أننا أمام قوة كبرى لانفهمها . . لا أعرف لهذه القوة اسماً . . هل هى لغز . . هل هى سر . . هل هى لعنة الفراعنة . . هل هناك قوى خفية تعطل قوانين الطبيعة وبذلك تلغى كل ما تعلمناه من بديهيات رياضية وقوانين طبيعية . .

أنا لا أعرف هذا السر الغريب العجيب !»

هل الفراعنة تركوا سموماً . . هل تركوا مواد مشعة . . هل استطاعوا أن
يختزنوا الطاقة وأن يكتفوها ثم يطلقوها بعد ذلك ! لا أحد يعرف . إن الحضارة
الفرعونية ما تزال تحتفظ دوننا بكل أسرارها !

لا يزال معنا علينا؛ طبيب فرنسى مات من ٤٠٠ سنة

أراهن أنك لن تعرف بالضبط ما الذى يفعله هذا الرجل فى غرفة مظلمة فى منتصفها منضدة خشبية . عليها كوب من الماء . والرجل يغمس أصابعه فى الكوب ، ويضع قطرة على جبهته . . ثم على خديه . . ثم بعض الماء يلقيه على قدميه العاريتين . وأخيراً يغمس طرف الثوب فى الكوب . ويظل يحملق فى الماء ساعات ويمد يده إلى الورق ويكتب . ثم يرتدى على الفراش نائماً حتى الظهيرة - انتهى المشهد اليومى فى أعلى سطح أحد بيوت باريس فى أواخر القرن السادس عشر!

هذا الرجل هو أشهر من عرف الطالع فى كل العصور . إنه طبيب فرنسى (١٥٠٣ - ١٥٦٩) . كان يواجه الوباء والأمراض ويشفى الناس . وكانت له وصفات لا يقرها الأطباء . واشتهر بين الناس بأنه يعالج الناس روحياً . وأنه ليس صحيحاً أنه كان يشخص الأمراض وإنما كان يلمس المرضى ويعطيهم بعض الماء الدافئ والكثير من الأعشاب . وضايق به الأطباء . وأقبل عليه

الناس . . وعندما اجتاحت الأوبئة فرنسا جنوباً وشمالاً ، كان هو الرجل الذى يخوض الموت ويعطى الأمل ويخفف الأوجاع .

* * *

ولكن هذا الرجل واسمه ميشيل نوسترادام الشهير باسم « نوستراداموس » كانت له اهتمامات أخرى . كان يقرأ فى الكتب التى يسمونها الكتب السوداء أو كتب السحر الأسود أو مخطوطات التنجيم . وكان هذا الاهتمام فى سن مبكرة . ولاحظ الذين حوله أنه يتوقع أشياء عجيبة . . ثم تقع . وقبل أن يصارح الناس بهذه النبوءات كان يسجلها سرّاً ، ثم ينتظر أن تتحقق . وكان الكثير جداً يتحقق بصورة أذهلته . وفكر أن يعتزل الطب وأن يتجه نهائياً إلى التنجيم . ومن الغريب أن هذا الرجل الذى توقع أحداثاً رهيبة وقعت فى القرن العشرين لم يتوقع أن تموت زوجته وابنه وابنته معاً !

إن هذا الحادث الرهيب قد هز صورته ووزنه ونبوءاته عند الناس . ولكنه استطاع أن يسترد قدرته الخارقة عندما استدعاه الملوك والأمراء ورجال الدين . . يقال أنه حدث فى إحدى المرات وهو ما يزال شاباً صغيراً أن رأى أحد الرهبان فى الطريق ، فركع له قائلاً : أهلاً يا صاحب القداسة !

واندهش الناس . ولكن هذا الراهب هو الذى أصبح بعد عشرات السنين البابا سكستوس الخامس !

وحدث مرة أخرى أن دعى نوستراداموس للغذاء . فقال لصاحب الدعوة لديك اثنان من الخنازير : واحد أبيض وآخر أسود . . وأنتك سوف تذبح لنا الخنزير الأبيض أما الخنزير الأسود فسوف يأكله الذئب !

وانتهز صاحب البيت هذه المناسبة وقال للطاهى : اذبح لنا الخنزير الأسود بسرعة . وجاء الطعام وقال نوستراداموس : بالضبط هو الخنزير الأبيض . ولكن صاحب الدعوة أكد له أن هذا الخنزير الأسود . ولكن نوستراداموس أصر على أنه الأبيض . وجاء الطاهى واعترف بأن الخنزير الأسود الذى ذبحه تسلل إليه الذئب وخطفه وهرب !

وعشرات الأحداث التى تنبأ بها فى عصره . . ولكن الغريب العجيب فى أمر هذا الرجل أنه أفزع فرنسا وإيطاليا وربما أوربا كلها فى ذلك الوقت ، فلا يوجد بيت لم يترك فيه ورقة . وعلى الورقة كل ما سوف يحدث للأسرة من أولها لآخرها من أحداث سيئة . وهذا لا يكلفه أكثر من أن يذهب إلى غرفته ويحملك فى كوب الماء . ويقول إن سطح الماء يتحول بسرعة إلى صفحة متحركة - تماماً كشاشة السينما - وعليها تجرى الأحداث فى كل اتجاه . . وعلى فترات متباعدة . . عشرات السنين أو مئات السنين . وهو يصف الذى يراه . ويقول نوستراداموس : إن عندى موهبة . هذه الموهبة عبارة عن قوة . القوة تملأ جسمى كله . تهزنى بعنف . وأسمع صوتاً وأرى نوراً . . ولا أعرف إن كنت أنا الذى يرى أو أن أحداً يرى لى ويرى بى . . أو كنت أنا الذى أسمع الأصوات . . أو أن قوة أخرى تسمع لى أو تسمعنى . . كل هذا يجرى أمام عيني على سطح الماء الذى يشبه شريطاً يتحرك .

ويقول وهذا أعجب : فى بعض الأحيان أرى الصورة الواحدة تتتابع متكررة مئات المرات - تماماً كالذى يحدث لنا ونحن نضبط التلفزيون !!

* * *

وعندما استدعته ملكة فرنسا كاترين دى مديتشى وضعت له ثمانية خيول

على طول الطريق . فوصل إليها من جنوب فرنسا بعد شهر . ولم يكد يصل إلى باريس حتى استدعته . وجاءها الرجل وطلبت إليه أن يرسم طالع أبنائها السبعة فوراً . ومكثت معه أربع ساعات . . وكل ما قاله لها هو أن أولادها سيكونون جميعاً ملوكاً . ولكنه لم يشأ أن يصارحها بالكوارث التي سوف تصيبهم جميعاً !

فقد كان خائفاً أن يتهمه أحد بالكفر أو يتهمه أحد بالاشتغال بالسحر الأسود . . وكان ذلك زمن « محاكم التفتيش » التي تصدر أحكامها العنيفة بالموت حرقاً وغرقاً لكل من يخرج على الديانة الكاثوليكية لأى سبب تافه . وكان هو وأسرته قد تحولوا من اليهودية إلى المسيحية منذ وقت قريب . ومن الحوادث التي جعلته يهرب ست سنوات بعيداً عن باريس أنه رأى واحداً يصيب تمثالاً من البرونز لمريم العذراء . فقال له :

- هذا كفر !

وأبلغ عنه الرجل . وأتوا به يسألونه فقال : نعم إن هذا التمثال الرديء يعتبر كفراً بكل القيم الجمالية !

هذا الخوف هو الذى جعله يصدر تقويماً سنوياً غامض العبارة . . وعلى شكل رباعيات تجيء فيها كلمات لاتينية ويونانية وعبرية . . وكان من عادته أن يجعل التقويم الواحد عبارة عن مائة رباعية . . وقد أعلن أنه يتنبأ بما سوف يحدث حتى نهاية سنة ٢٠٠٠ ويتوقع حرباً عالمية لم تعرف لها الإنسانية مثيلاً يوم ٢١ يونيو سنة ٢٠٠٢ . .

ومن الخوف الشديد أيضاً كتب يقول : إن كل كتاب كنت اقرؤه أقوم بإحراقه فوراً حتى لا يقع في يد أحد !

ولكنى أستبعد أن يفعل ذلك رجل باحث وطيب . وإنما أراد أن يطئمن رجال الدين إلى أن بيته خال من هذه الكتب السرية أو السحرية .

* * *

وقد اعترف نوستراداموس بأنه لم يرفع عينيه عن كتاب قديم اسمه « أسرار مصر » . وهذا الكتاب من تأليف يامبليخوس اليونانى . وأنه وجد فى هذا الكتاب علماً لم يعرفه أحد . وأن كتاب « أسرار مصر » ليس إلا أسرار الكرة الأرضية . وأنه يستطيع عن طريق هذا الكتاب أن يعرف المعابد كلها . .

وفى سنة ١٦٤٩ كان الكاردينال مازاران متسلطاً على القصر الملكى . ولم يستطع خصومه أن ينالوا منه شيئاً . ولكنهم اهتموا به إلى كتاب نوستراداموس « النبوءات » وراحوا ينشرون ماتوقه نوستراداموس للكاردينال . . وتحطمت أعصاب الكاردينال وراح يجمع الكتاب من كل مكان ، ولكن عاد خصومه يبعثون به على شكل خطابات . . وأحياناً يضعونه فى سلال الفاكهة ويعلقونه على الأشجار ، ويضعونه على المقاعد فى الكنيسة - وتحققت كل نبوءات الرجل ضد الكاردينال !

ولابد أن الإمبراطورة جوزفين هى التى أعطت نسخة من هذه « النبوءات » لزوجها نابليون . وهى التى أشارت إلى مواقعه العسكرية . وإلى زحفه على روسيا وانسحابه الرهيب منها . . وعندما أشارت إلى موقعة واترلو وانهزامه المؤكد أمسك الكتاب وأحرقه فوراً - وربما كان هذا هو الكتاب الوحيد الذى أفزع نابليون . وأمر بإحراقه فوراً !

وعرف نابليون فيما بعد أن هذا الرجل قد تنبأ أيضاً بقيام الثورة الفرنسية . .

وبإعدام زعمائها . . وهو أيضاً الذى تنبأ بنفى نابليون إلى جزيرة سانت هيلانة . .

وبعد هزيمة نابليون عاد الناس إلى الكتاب يقبلون فيه . وضاعت العائلات المالكة بهذا الكتاب . وأخفوه . بل إن أحد الأمراء قد أصدر كتاباً مزوراً . وجعل لهذا الكتاب شكل الرباعيات . ولكن الناس لم تنخدع بهذه الطبعة الزائفة ، وعادوا يقتنون الكتاب العجيب للنبوءات الغامضة . .

وفي خريف ١٩٣٩ بعد أن أعلنت ألمانيا الحرب على أوروبا ، واشتعلت نار الحرب العالمية الثانية . . حدثت هذه الواقعة المؤكدة . كانت زوجة وزير الدعاية جوبلز تتمدد في فراشها . وسحبت من تحت المخدة كتاباً صغيراً . وهزته . لعله يصحو من النوم . ولكنه كان مرهقاً . فهزته بعنف وفتحت عينيه بالقوة . وأدنت المصباح وقالت له : اقرأ

وأشارت إلى بعض الفقرات في كتاب « النبوءات » لنوستراداموس وكانت الفقرات التى تتحدث عن هجوم هتلر . وزحف هتلر على روسيا . وعودته مهزوماً . .

وكان هتلر يعتمد على أحد العرافين . .

وكانت وزارة الدعاية تستخدم أحد الذين يقرأون الطالع ويكتبونه وينشرونه في الصحف وفي النشرات الدعائية . وبدأت الطائرات الألمانية تلقى نبوءات نوستراداموس في كل الأراضى التى هاجمتها ألمانيا . . وخصوصاً في فرنسا . ولكن الكميات الأكبر والأضخم هى التى أُلقت بها على الشعب الإنجليزى .

وفي وثائق حرب بريطانيا مع ألمانيا تكلفت الحكومة البريطانية ربع مليون جنيهه لتقاوم نبوءات نوستراداموس وذلك بأن تنشر نبوءات مضادة لنفس الرجل ، ولآخرين من علماء التنجيم وقراء الكف وضاربي الودع وفاتحي المندل - وكل ذلك ثابت في سجلات الحرب البريطانية . .

بل إن واحداً من كتب المخابرات البريطانية قد روى قصة حرب الأعصاب التي سلطوها على هتلر نفسه عندما حاولوا استخدام ذلك « العراف الخاص » لهتلر . ونجحت المخابرات البريطانية في أن تجعل هذا العراف يتنبأ لهتلر بالفشل في وقت مبكر . وقد غضب عليه هتلر . ثم عاد فاسترضاه . وكان من بين الحيل التي لجأت لها المخابرات البريطانية : نبوءات هذا الطبيب الفرنسي !

ومن أعجب نبوءات هذا الرجل : مصرع موسوليني وانتحار هتلر . . ومقتل الأخوين كنيدي . . وسقوط بيرل هاربور أمام القوات اليابانية . . ومصارع عشرات الملوك والرؤساء .

فمثلاً عندما تنبأ بمقتل كنيدي كانت عبارته هكذا : الرجل العظيم في أعظم دولة تصرعه صاعقة في عز الظهر . . وأخوه بعد ذلك » .

وتنبأ أيضاً باحترق الأسطول الفرنسي في الإسكندرية ، فقال : وتنبأ أيضاً باحترق الأسطول الفرنسي في الإسكندرية ، فقال : يغرق الأسطول بالقرب من البحر الأديرياتيكي . ومصر تهتز كلها . والدخان يتصاعد ويحتشد المسلمون » .

فقد حدث ذلك سنة ١٧٩٩ عندما وصل نابليون إلى مصر وأرسي سفنه في مياه أبو قير عندما جاء نلسون بأسطوله وأغرق المراكب الفرنسية . .

وتوقع حرب ١٩٤٨ واستيلاء اليهود على أرض فلسطين قال : « فالدولة الجديدة تحتل أرضاً حول سوريا ويهوديا وفلسطين . . وتنهار القوات البربرية » .

القوات البربرية هي القوات غير المسيحية . فقد كان من المألوف في أوروبا أن يوصف كل من ليس أوروبياً بأنه بربرى ، وبعد ذلك أصبح البربرى هو كل من ليس مسيحياً . فالقوات البربرية التي يتحدث عنها هي القوات العربية الإسلامية . .

وربما هو الذى تنبأ بما يحدث على صحراء المغرب - وهذا استتاجى أنا . فقد جاء على لسان نوستراداموس : إن القوات البربرية سوف تأخذ أرضاً من إسبانيا . وسوف تسيل الدماء . .

أى أن القوات العربية سوف تسترد أرضاً كانت تحتلها إسبانيا - ربما كان ذلك !

* * *

والعجيب أن هذا الكتاب تصدره المطابع اليهودية في أوقات معروفة . فقبل الحروب تبعه على جانبي المحاربين . .

فمثلاً قبل حرب ١٩٤٨ انتشر هذا الكتاب في العالم العربى ، وظهرت فقرات منه مترجمة في الصحف البريطانية والفرنسية . .

وقبل النكسة نشرت الصحف الإسرائيلية مع الحفاوة الشديدة فقرات تؤكد انتصار اليهود وهزيمة العرب . .

وفي سنة ١٩٧٣ أعيد نشر النبوءات ، ووجد اليهود أن قائداً عربياً اسمه

«محمد» سوف يسيل الدماء ويتقل بعد ذلك في رحلات طويلة إلى أوروبا . .
ونشرت صحيفة يهودية أيضاً أن هذا القائد سوف ينتصر . وأن الصحف
الأخرى قد حرفت في نبوءة نوستراداموس . .
فهذا الطيب الفرنسي الذي عاش في العصور الوسطى ، ما يزال بعد
أربعة قرون ، يعمل في كل الجهات مع الجميع وضد الجميع أيضاً !

شئ وراء العقل

على كنفك
شئ عجيب لا تعرفه

الإنسان حيوان قد أدمن الأطباء . . أو أدمن
الدواء، دون أن يكون هناك شفاء . كم مرة ذهبت إلى
الطبيب وطلب إليك أن تأخذ لك إجازة ، أن تمدد
رجليك وتجلس في الشمس أو تنقص وزنك قليلاً أو
قال لك مداعباً : إن الدنيا لاتساوى . . هون
عليك . . ما الذى أخذه الذين قبلنا . لا شئ . .
وماذا سوف نأخذه . . نفس الشئ . . أى لا شئ . .

وقد لايتسع وقتك لكى تفكر فى الذى همس به الطبيب . وتجد أنه على
حق . ولكن الدنيا تأخذك من نفسك ومن الطبيب وتملاً أذنيك بأوجاع أخرى
وتعود إلى الطبيب . وتنشغل به طول الوقت بهذا البيت الذى تسكنه - أى
بجسمك . فهو الشئ الوحيد الشخصى جداً فى حياة أى إنسان . فنحن
أفكارنا تتشابه وهمومنا وأمراضنا ، ولكن أجسامنا تختلف تماماً . ومن النادر أن
نخرج عن هذه الأجسام ونفكر : كيف يعمل هذا الجسم . . ومن الذى
يديره من الذى يصونه . . أو « ما » الذى يحركه وينظمه ويوجهه ويوجهنا
جميعاً؟

إن هذا البحث الصعب يبدأ بملحوظة صغيرة : فأنت عندما تذهب إلى الطبيب تشعر بشيء من التحسن ، حتى قبل أن يراك . . بل يحدث كثيراً أنه بعد أن تحصل على موعد لقاء من الطبيب تشعر بشيء من التحسن . لماذا ؟ وكيف ؟ وأين تتم هذه الحالات النفسية وما هذا الذى أدى إلى تحسنتك . هل هو صوت الطبيب . . هل هى عيادة الطبيب والشهادات المعلقة على الجدران . . هل هو الزحام الذى يؤكد لك أن الطبيب ممتاز بدليل هذا الاقبال عليه . . هل هو مجرد أن يراك وأن تراه وأن تشعر معه وإلى جواره بالأمان . . هل هى الرغبة العميقة فى الشفاء . . ثم أين تجرى هذه المشاعر كلها وكيف تؤثر على جسمك ، على وظائفك ، على متاعبك ؟

هذه هى البداية الصغيرة لهذه الرحلة الطويلة العميقة داخل العقل الإنسانى . والسؤال بصورة أخرى ومرة أخرى : كيف يؤثر عقلك فى جسمك ! ثم أين هو هذا العقل ؟

* * *

إن الكثيرين من المرضى قد تحسنت حالتهم الصحية عن طريق عقولهم . عشرات الأمثلة تؤكد أن الطب وقف حائراً أمام المرض والمريض . وفجأة ، أو بمعجزة ، تحسنت صحة المريض . والسبب هو المريض نفسه .

إن مريضاً قد يئس منه الطب الحديث ، طلب بعض الأفلام المضحكة وبرغم عجزه عن الضحك فإن هذه الأفلام قد هزته من أعماقه قد أسقطت عنه متاعب وهموماً فى وزن الجبال . إن الأطباء يقفون حول المريض يرون ما الذى يقدر عليه الضحك وعجزت عنه الأشعة . . واستطاع الضحك وإصرار المريض وعقله أن يحير الأطباء وأن يخفف الداء حتى الشفاء . . وما من طبيب

إلا عنده عشرات الأمثلة . وكلها ذات معنى واحد : أن العقل يستطيع بتأثيره على الجسم الإنسانى أن يحقق الشيء الذى ليس وارداً فى كتب الطب !

* * *

إن كتب الطب تروى هذه القصة أو عشرات مشابهة لها : إن فتاة صغيرة قد سمعت وقرأت عن قصة عذاب المسيح وصلبه ودق المسامير فى يديه وقدميه وتأثرت الفتاة بهذه القصة حتى أخذت الدماء تنزف من يديها وقدميها وجبهتها . والعجيب الذى حير الأطباء أنه لا يوجد تمزق فى بشرتها . . وأن الدماء تنزف كأنها قطرات عرق .

ومعنى ذلك أن العقل يستطيع أن يؤثر على الجسم كله : على وظائفه وعلى خلاياه !

إن الملك لويس السادس عشر قد كون لجنة غريبة . . هذه اللجنة تضم عالماً كيميائياً هو لافوازييه وسفيراً أمريكياً فيلسوفاً هو فرانكلين . . وطلب إلى اللجنة أن تبحث هذا الموضوع : كيف يمكن لرجل الدين أن يشفى أمراض الناس . وطلبت اللجنة من الملك أن يدها على المرضى الذين تم شفاؤهم . وجاءوا لهم بالمرضى . وعاد العلماء بتقرير جاءت فى نهايته هذه العبارة : تم الشفاء للجميع عن طريق الخيال . لقد قال لهم رجل الدين : تخيلوا أنكم شفيتم ، وأن أوجاعكم ذهبت ، وأنكم تطيرون فوق السحاب ، وأن الله قد غفر لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر . . وخفت كل الأجسام التى أثقلتها الأوجاع » .

وكذلك يفعل رجال كل دين وكل عقيدة . .

ولكن ما هو هذا العقل؟ أين يوجد؟ كيف يعمل! كيف يؤثر

على الجسم كله!

الجواب لا أحد يعرف أين يوجد عقلك . وكل ما يستطيعه الطبيب هو أن يقول إن لك مخًا . وأن هذا المخ وزنه كذا ولونه كذا . وأنه لا فرق بين مخ العبقري ومخ العبيط ، فالعالم الكبير أينشتين عندما أوصى بتحليل مخه ، لعل أحداً يهتدى من بعده إلى سر عبقريته ، لم يجد العلماء فرقاً بين مخه ومخ أكبر الناس غباوة . إذن ليس هو الحجم ولا الوزن ولا اللون . . وكل ما يستطيعه الأطباء هو أن يقولوا لك : هنا مركز السمع . . وهنا مركز الرؤية . . وهنا المراكز الحركية . . أما الذاكرة فلا يعرف أحد أين هي في هذه المادة السنجابية اللون المليئة بالخطوط الدقيقة جداً . .

هناك مخ : هذه حقيقة تشرحية . . ولكن لانعرف أين مكانه وما الذى يجعله ذكياً أو غيبياً أو عبقرياً . لا أحد عرف حتى الآن . .

وكل ما يعرفه العلماء هو تجاربهم على الفئران والقطط والأرانب ، فهم قد فتحوا أدمغتها وأخرجوا مخها وشرحوه وقطعوه ووزنوه وحركوه وشلوه . . وينتقلون بعد ذلك إلى مخ الإنسان . ولكن التجارب التى أجريت على المخ الإنسانى وتمزيقه وتشريحه وهو ما يزال حياً قليلة جداً .

ويجلس الإنسان أمام الطبيب النفسى فيسأله لعله يعرف عقله : . . حدثنى عن أحلامك . . عن طفولتك . . أو حدثنى ولا تتوقف عن الكلام أو كما قال سقراط من ألوف السنين : حدثنى لكى أراك !

وتظل تتحدث والطبيب النفسى يقوم بتركيب أفكارك وأحلامك ويصنع منها صورة لعقلك وحياتك وأنت طفل . ولمستقبل حياتك . . ولذلك فالتحليل النفسى فن وليس علماً ، لأنه يعتمد فى الدرجة الأولى على ما نقول

وعلى «تأليف» الطبيب بعد ذلك !

إن علماء النفس عندما يسألونك لكى يعرفوا عقلك تماماً كالذى يطلب إليك أن تضع يدك فى جيبيك وتخبره عن الذى فى جيبيك دون أن تخرج يدك منه . . فأنت تقول : وهو لايعرف إن كنت تقول الحقيقة أو تكذب . .

ولكن هذا هو كل ما نستطيع أن نعرفه عن عقولنا . .

* * *

وإذا كان الإنسان حيواناً قد أدمن الأطباء ، فهو فى الحقيقة قد أدمن العقاقير . وهذه العقاقير هى التى تفتح أبواب ونوافذ العقل . . أو هى التى ترمى حدود العقل إلى الوراء . . أو هى التى تززع البيت الذى نسكنه حتى الموت - أى أجسادنا - فأنت عندما تصحو من النوم حتى تنام تتناول هذه العقاقير المختلفة :

الأسبيرين . . والنيكوتين الموجود فى السجائر . . والكافيين الموجود فى الشاى والقهوة والكاكاو والكوكا . . والكحول . .

وهذه العقاقير التى تؤدى إلى الإدمان برغم أنها ضارة ، فإن أحداً لا يعيب على مدمن القهوة أو السجائر أنه يفعل ذلك . . إننا نلوم من يدمن الحشيش أو الأفيون . . فمدمن الشاى والقهوة والسجائر لا نقول إنه مدمن وإنما نقول إنه « كفيف » . ولكن الذى اتخذ من الأفيون والحشيش مزاجاً نقول إنه « مدمن » . . إن الأضرار واحدة بدرجات متفاوتة وتؤدى إلى نفس الاضطرابات وتؤدى إلى « توسيع الحدود العقلية » . .

وفى استطاعتك أن تتساءل : ما فائدة القهوة والشاى أو السيجارة ؟

ويكون الجواب : أنها تؤدي إلى نوع من جلاء البصر والروقان . . وتؤدي إلى اعتدال المزاج . . وإلى إزالة غشاوة أمام العين . . أو غشاوة على العقل . . بالاختصار : من غيرها لا تستطيع أن تؤدي عملك على النحو الذي تراه أفضل !

والمدمنون لديهم ما يقولونه أيضاً . .

ما هذا الذي يحدث بالضبط ! هذا هو السؤال الثاني .

والسؤال الأول كان : ما هذا العقل ؟ وكيف يؤثر على أجسامنا ؟ لقد حدث من عصور قديمة جداً أن عرف الإنسان أثر العقاقير على عقله . . فقد تعاطى الناس في كل الحضارات القديمة هذه الأعشاب التي تحرك خيالهم وتجعلهم يتصورون أنهم يعيشون في جنات أو في جهنم . . إن الكاتب الكبير جوليان هكسلي قد جرب مادة المسكاليين على نفسه وسجل ما يشعر به بعد ذلك . . إنه رأى عالماً عجيباً من الألوان والأشكال والأحجام عالماً تحولت فيه كل صورة إلى لون . . إن الشاعر الكبير جريفيز الذي درس الأساطير الإغريقية يؤكد لنا اليوم أن الإغريق كانوا أكبر حشاشين في تاريخ الإنسانية . وأنه من وحى الحشيش تحولت الجبال إلى حيوانات والحيوانات إلى آلهة . . والآلهة إلى حيوانات . . وأصبح الصغير جداً كبيراً جداً . . إلى آخر الأساطير الإغريقية كلها . .

إن هذه الأعشاب هي التي حركت العقل ، وأطلقت خياله ، ووسعت حدوده وأسقطت من حول العقل كل ما اعتاد أن يراه وأن يسمعه . . لقد جعلت العقل على غير عادته ، أو جعلته فوق العادة . .

* * *

وفي العصر الحديث وقعت حادثة ذات دلالة خطيرة . وهي حادثة اكتشاف طبيب سويسرى اسمه البرت هوفمان يوم ١٦ أبريل سنة ١٩٤٣ . هذا الطبيب كان يعمل لحساب شركة ساندوس للأدوية . وكان مشغولاً ببعض الفطريات التى تنمو على حبات القمح ، وهذه الفطريات قد استخدمت قبل ذلك فى القضاء على الصداع وآلام الولادة . ولكنه لاحظ عند عودته إلى البيت أنه فى حالة هلوسة . . كل الألوان والأصوات تداخلت وتلونت ولاحظ أيضاً كأنه اثنان فى وقت واحد : واحد يهذى والثانى يرقبه من بعيد . . واستدعى طبيباً . وبعد ساعتين أفاق من هذه الحالة . وعرف فيما بعد أن السبب هو العقار الذى اكتشفه واسمه : ل . س . د . ٢٥ وهذا العقار يقاس بالميكروجرام - أى بواحد على مليون من الجرام - وأن قرصاً من حجم الإسبرين كاف لإصابة عشرة آلاف إنسان بالهلوسة .

(فهذا العقار يؤدى إلى إطلاق العقل وتهييج الذكريات كلها . . ويصبح الإنسان قادراً على أن يتذكر كل شىء حدث له منذ الطفولة حتى آخر لحظة . وكلها بنفس الوضوح .

ومعنى ذلك أن العقل مليان . وأن العقل من الممكن إثارته واحياؤه وإنهاضه وتوسيعه وإطلاقه إلى الوراء وإلى الأمام . . وأن هذا لا يتحقق إلا بهذه العقاقير . .

وقد عرف الأطباء كيف يجعلون الإنسان رائداً للفضاء العقلى ، للفضاء الداخلى . . وذلك بأن يعطوه هذه العقاقير ، ثم يتركوه يروى ويصف .

* * *

ولكن كيف يجب أن نفرق بين عقاير للهلوسة ، أى نجعل الإنسان يقول ويصف ما لا يدرى به . . وبين عقاير تجعل الإنسان يقول ما يدرى به . . فعقار ل . س . د ٢٥ ليس عقاراً للهلوسة وإنما هو عقار « لتوسيع المخ » أى « سيكدلك » - باللغات الأوربية .

وقد توقفت شركات الأدوية السويسرية عن إنتاج هذا العقار . فقد كان عقاراً تجريبياً . ولكنه انتشر في العالم كله . وأصبحت له جماعات وديانات وفلسفات . وأحس الشباب في كل العالم أن هذا العقار هو رسول السلام . . هو قذيفة تطلقهم إلى الفضاء الداخلى ، يرون ويسمعون ويتمتعون هرباً من دنياهم واعتزازاً بتلك الكنوز الدفينة في العقل الإنسانى . وأن هذه الفرصة الذهبية التى حققها العلم للإنسان الذى استغرقته الحياة المادية والخوف منها والخوف عليها . . وأنه لانجاة للإنسان من هذا الذى استغرقه حتى أغرقه . إلا بتعاطى عقاير الهلوسة وتوسيع المخ . . وتوسيع الهوة بين الأجيال . . بين الآباء والأبناء . بين الشعب والحكام . . بين ما يتمناه الناس وبين الذين يجدونه فى أيديهم ولا يرضيهم . . وأن هذه هى لحظة الانتقام من كل الذين حشروا الأجيال الشابة فى قوالب من حديد . . فى دبابات وطائرات وشحنوهم من أجل الموت بلا قضية . . إنها فرصة نادرة لنزع قشرة العقل الإنسانى . . لمعرفة هذا اللغز العظيم . . هذا الذى يحرك الجسم ويحرك الحضارة الإنسانية دون أن يعرف أين هو ولا كيف هو . . إن العقل قوة هائلة جبارة . ولكننا لا نعرف ذلك . .

إن الذى سجله الأدباء والشعراء والأطباء بعد أن تناولوا عقاير الهلوسة وتوسيع المخ أقرب ما يكون مما جاء فى « كتاب الموتى الفرعونى » أو فى

«الإلياذة» الإغريقية . . أن هناك مشاعر غريبة . . وحركات لايتصورها العقل . . وأجساماً تطير وتروح وتجيء كأنها بلا أجسام في عوالم بلا جاذبية . . وعشرات الألوف من الأغاني في الشرق والغرب ذات المعانى الجميلة . . مثل الأغنية التى تقول : أخذت الضوء والضوضاء في رأسى ، فلا وقت للألم . ولا ضرورة له ، بعد أن عرفتك . .

وبعد أن عرف الملايين هذه العقاقير التى تفتح في داخل العقل قارات وكواكب هائلة شاسعة . . ولكنها جميعاً بلا خرائط . . فهذه العقاقير الكيميائية الطبية لم تفعل أكثر من أننا وضعنا أيدينا على مفتاح لباب من بين مليون باب لعالم عقلى لا نعرف عنه إلا القليل جداً . .

إن على كتفك دنيا أكبر من الدنيا ، وأروع ولكنك لاتعرف !

* * *

فإلى خطوة قادمة أكبر وأعمق في داخلك ، بعد أن انشغل الإنسان بكل شىء حوله وأمامه وضده . . إلا عقله . أما دليلنا إلى ذلك فكتاب هو من أروع ما صدر في هذا القرن واسمه « قوى العقل » للكاتب الكبير آدم سميث .

”زن“ طريقة للتأمل العقلي من أجل صحتك

كما هي عادة حكماء اليوجا وفلسفة «الزن» أرجو
أن تقرأ هذه العبارات الآن . . وأن تفكر فيها بعد
ذلك . . أما المعنى فسوف تجده في الحكايات . .
والنوادير . . التي سوف أرويها في هذا المقال وغيره . . .

مادمت لا تعيش حتى المائة ، فلماذا تحترق ألف مرة ؟

الحيتان تغرق في المياه الضحلة !

مدرس متوسط أحسن من مكتبة عظيمة !

قيل للأستاذ : كم تساوي أربع نساء يتحدثن معاً في وقت واحد ؟ قال :
يساوين نصف رجل صامت . قيل له : ولماذا ؟ قال : لأن الصمت نصف
الحكمة ، والكلام معاً ليس من الحكمة والإجابة عن هذا السؤال نوع من
الحكمة . . وهذا الحوار في الطريق إلى الحكمة .

وإذا كان جسمك هو حصانك ، فإن عقلك هو السرج واللجام والكراباج
والطريق . . .

. . . إن هذا ثوبك لا تنس ذلك . . فلا تلوثه ولا تمزقه ولا تسكن فيه مع

أحد غيرك . . ثم لا تعطيه لأحد . . ألا ترى أنني عريان وأنسى أسعد حالا وأهدأ بالاً وأصح جسداً وأصفي نفساً . كيف كان لي ذلك . . هذا هو السؤال وذلك هو الجواب . .

ومئات الألوف من العبارات ذات الرموز وذات الدلالة نجدها عند أهل الصين القدامى . . وعند حكماء اليوجا المعاصرين . . ولكن الذي أريد أن أتجه إليه مباشرة هو طريق « الزن » والزن كلمة يابانية معناها : التأمل .

وقبل أن نتأمل معاً نتساءل مع جماعة « الزن » ما هو هذا التأمل ؟

هناك درجات متفاوتة من الوعي : أن تكون في حالة يقظة تامة ، كما أنت الآن . .

وأن تنام . .

وأن تحلم أثناء النوم . .

ومن هذه الحالات الثلاث هناك درجات لا نهاية لها بين الوعي واليقظة والاقتراب من النوم والاستغراق فيه ، وبين الأحلام والرؤى وبين الهلوسات أثناء النوم أو أثناء اليقظة . . تماماً كالفوارق الهائلة في الدرجات اللونية . .

ولكن درجة الوعي التي تهمنها هي : التأمل . .

كيف نتأمل شيئاً ما ؟

أن تجلس ساكناً هادئاً وأن تفتح عينيك على شيء فلا ترى سواه . . وليكن هذا الشيء زهرة . . أن تفتح عينيك حتى لا ترى غيرها . . ثم يذهب بك التأمل حتى لا ترى الزهرة . . وتكون في حالة من الهدوء والصمت فلا أنت يقظان ولا أنت نائم ولا أنت حالم . . وإنما أنت غارق في شيء . .

أو غارق في حالة ولكنك في نفس الوقت لست غارقاً . . إن نظرتك أشمل وأعمق من هذه الزهرة . .

* * *

والذي يهمنى ويهمك أيضاً ما الذى يحدثه هذا التأمل العقلى فى جسمك . . إنك هادئ . . إن أنفاسك منتظمة ، وهذا الانتظام يؤدى إلى تخفيف التوتر النفسى لك . . ومن تلقاء نفسك تجدك قد فردت ذراعيك ومددت ساقيك . . وأصبحت أخف وزناً . .

ولكنك لست كسولاً ، ولا عقلك قد توقف أو نام . . وإنما تجد أن عقلك أقدر على الفهم وأقدر على تمييز « القلط السود من القلط البيض » - كما يقول رهبان الزن . فقد حدث أن ذهب تلميذ إلى أستاذه الحكيم يقول له : يا أستاذنا . . ما الذى أفعله بعد ذلك ؟ فقال له الأستاذ : وما الذى فعلته حتى الآن فقال التلميذ كل ما أمرتنى به . فقال له : وما الذى أمرتك به ؟ قال التلميذ : أن أنام فى غرفة مظلمة . وأن أكف عن الطعام والشراب . . وأن أعد أنفاسى شهيقاً وزفيراً . . وأن أجيء إليك إذا ما شعرت بالراحة التامة . وأهم من ذلك أن أقود قطيعاً من القلط البيض والقطط السود حتى يجيء النوم . . وجاء النوم وذهب وجاء . . ثم جئت إليك ألتمس الحكمة منك يا أستاذى العظيم .

ولكن الأستاذ العظيم الحكيم قال له : إنك لم تحقق شيئاً مما قلت لك . . كان يجب أن تعود إلى عندما تنسى كل الذى قلته لك . . ولكنك مادمت تذكر كل شىء فأنت لم تستغرق فى الكون كله بعد . . وما دمت تفرق بين القلط البيض والقطط السود فأنت لم تستغرق فى الكون بعد . . وما دمت لا

تزال قلقاً على أن تجيء إلى ، فأنت لم تسترح بعد . . ومادام النوم يروح ويحىء ، فأنت لم تستغرق في النوم في الكون بعد . . اذهب وانس ماقلته لك هذه المرة ، ولن تجيء !

وهذه الحكاية تحتاج إلى شرح . فمن عادة جماعة « الزن » أن يسأل التلميذ أستاذه : ما الذى يفعله من أجل أن يريح جسمه عن طريق العقل . . فيقول له الأستاذ مثلاً : تخيل أنك تبحر وراءك الشاطئين تخيل أنك تفعل ذلك حتى يستغرقك هذا الخيال . .

ويقول له : تخيل أنك تسحب هذه السفينة بمن عليها حتى الشاطئ تخيل ذلك . .

إن الأستاذ يريد من تلميذه أن يتخيل وأن يتأمل وأن يفعل ذلك وهو جالس هادئ . يقول د . دالاس أحد علماء النفس الأمريكان أن تجاربه من هذا النوع قد أدت إلى خفض ضغط الدم عند عدد كبير من المرضى . بل إنها أنقصت حبات العرق . . بل إنها أخذت بالصداع من الرأس . وقد قام بمئات التجارب في المستشفيات على المرضى . وأن الأدوية المسكنة قد فشلت تماماً حيث نجحت تأملات « الزن » . .

* * *

تقول د . مرجريت ين من أكبر علماء الحيوانات في أمريكا : عندما زرت بعض جزر المحيط الهادى اتجهت إلى حكيم القبيلة . قابلته . كان جالساً كأنه صخرة . كأنه شجرة . لا يتحرك فيه شيء . حتى رموش عينيه ، حتى أصابع يديه ، كلها ممدودة لا تهتز برغم أن الضوء قد سقط على وجهه ، وذراعه

مدودتان أمامه . قالت إنها سألت ما الذى يفعله الرجل ، لم يشأ أحد أن يرد عليها . فعادت واتجهت إلى واحد من أطفال القبيلة . ولكن الطفل اقترب منها ليقول : إنه يستعد لعملية جراحية صعبة . وهو يفعل ذلك فى الظروف العسيرة . .

وبعد ساعة من هذا الهدوء المميت نهض طبيب القبيلة . وأشرفت وجوه الرجال والنساء . ودخل الطبيب كوخا وسمعنا صرخة صغيرة . وخرج الطبيب بعد دقائق . لقد بتر ساقاً لأحد المرضى .

وفهمت د . مرجريت ين أن لحظات الصمت هذه تمنح الطبيب قدرة جسمية عظيمة . وقدرة عقلية أعظم .

ولذلك فبعض الأطباء يرون أنه من الضرورى لكل إنسان فى العصر الحديث أن يتوقف عن العمل أو النشاط تماماً مرتين فى اليوم . كل مرة عشرون دقيقة . وبدلاً من أن يذهب الناس إلى المطاعم أو حتى دور السينما . . ليستريحوا بعض الوقت . فإنه من الأفضل أن يجلس كل إنسان هادئاً . يتأمل لا شىء . . يتأمل أنه على ظهر مركب وأن هناك أناساً يسحبونه هو إلى الشاطئ ، أو هو الذى يسحب المركب إلى الشاطئ . . عشرون دقيقة قبل الغداء . . وعشرون دقيقة أخرى قبل العشاء . .

وإذا كان الناس فى أوروبا وأمريكا ينسحبون من العمل بعض الوقت فيجلسون لشرب القهوة أو الشاي فليس هذا هو الأسلوب الصحى . . فالذى يفعلونه ليس إلا نوعاً من تغيير الحركة . فبدلاً من أن يتحرك الإنسان فى مكتبه أو فى مصنعه ، فإنه يجلس فى مقهى أو مطعم ويحرك رأسه ويتكلم شيئاً

مختلفاً ويسمع كلاماً آخر . . ولكن ليست هذه هى الراحة المطلوبة . وإنما الذى يدفعنا عادة إلى المقاهى والمطاعم والملاعب هو سبب آخر : هو أننا اعتدنا على الضوضاء . ولم نعد قادرين على الحياة بغيرها . .

إن أكثر الناس لا يستطيع أن يجلس وحده فى هدوء . . إنه يريد أن يكون مع الآخرين حتى ولو لم يشاركهم الكلام . يكفيه أنه يسمعهم . أو تكفيه ضوضاؤهم . لماذا ؟ لأنه اعتاد على الدوشة . . فهو ينام والراديو مفتوح . فإذا نزل من البيت استقبلته ضوضاء الشارع . فإذا ركب السيارة فتح الراديو . . راديو السيارة أو الراديو الصغير الذى يحمله أو تمنى أن يفعل أحد ذلك بالنيابة عنه . . ومن الغريب أن ينتظر الفيلم فى هدوء . . مع أنه لا يوجد هدوء بين الناس فى السينما . . ولكنه اعتاد على الضوضاء . . واعتاد على أن تثيره الضوضاء . وتجعله عصيباً كأنه لم يخرج من البيت أو من المكتب . . إنه اعتاد على أن يكون عصيباً قلقاً ، وأن تكون حالته النفسية هكذا ، وحالته الجسمية أيضاً . .

قالوا للحكيم كونفوشيوس : لماذا نرى هذه الأغنام قلقة . . ولا نرى تلك الأغنام مثلها . قال : هذه الأغنام ليست وحدها إن ذئباً يتوارى بينها . قالوا له : لا يوجد ذئب أيها الحكيم وإلا أكلها جميعاً . قال : هناك ذئب تأكل الأغنام وذئب تتركها لذئاب أخرى . . سألوه : كيف ؟ قال : إن الراعى إذا كان كسولاً أو كثير النوم جاءت الذئب إلى الأغنام . . فهو ذئب لا يأكل الأغنام ولكنه يمهد الطريق للذئب الأخرى . . فافهموا !

وهو يطلب إليهم - عادة - أن يفكروا فيما يقول . . وإذا فكرنا نحن أيضاً فيما يقول نجد أننا نحن الذئب . . وأجسادنا هى الأغنام . ونحن الذين

نحميها من ذئاب القلق والخوف والمرض . . أو نغفل عنها فتجىء المخاوف من خارجنا تفرسنا . .

ولما عادوا إلى الحكيم كونفوشيوس يقولون له : يا حكيم الزمان ولكن إذا كان الإنسان يرعى قطعاً من الذئاب فما الذى يفعله معها . . قال الحكيم : ولكن الإنسان لا يرعى الذئاب . . ولا الذئاب ترعى الإنسان . . قيل له : وكيف يا أستاذنا ؟ أجب : إذا كان الإنسان راعياً وكانت الذئاب أغناماً ، فإنها تلتف حوله تأكله . . فلا يكون هناك راعٍ ولا تكون هناك رعية . . وإذا كانت الذئاب هي التي ترعى الإنسان ، فإنه لا يكون إنساناً ولا تكون هي ذئاباً . . إذا رعاها كان لها . . وإذا رعتها كانت أغناماً . . فقالوا له : إننا نفترض ذلك يا أستاذنا . . نفترض أن الإنسان استطاع أن يروضها ، وأنها استطاعت أن تجعله وحشاً مثلها . . فلا خوف على الراعى من الرعية ، ولا على الرعية من الراعى . . نقول لك : إذا . . وأجاب الحكيم كونفوشيوس : تقولون : إذا . . وأقول لكم : خير عظيم إذا . . فافهموا ! .

وهو ولاشك شيء عظيم أن يصبح العقل الإنسانى قادراً على ترويض الرغبات الحسية والنزوات النفسية . . خير عظيم تعمل كل المذاهب الأخلاقية والدينية من أجله . . فإذا كان الجسم ذئباً والعقل راعياً واستطاع العقل أن يروض الذئب ، فهذه أقصى درجات الإرادة . . ولكن عندما يتغلب الجسم على العقل ، أصبح العقل أحط من الجسم . . أو أصبح الإنسان منحطاً . .

ولكن ما هذا الذى فى عقلك يجعلك قادراً على أن تفعل هذا أو لا تفعله ؟ إن الأطباء والعلماء ورجال الكيمياء قد شرحوا المخ ومزقوه . . ووضعوه فى

الأنايب ورفعوا درجات حرارته . ولكنهم لم يهتدوا إلى أين تكمن الإرادة . .
أين تكمن هذه المشاعر المعقدة . .

لقد رسموا المخ وقاسوا درجة حرارته ودرجة كهربيته ومغناطيسيته . وقالوا:
الفكر كهرباء . . وقالوا : الفكر تفاعلات كيميائية تنتقل من مكان إلى
مكان . . وقالوا : إن حركة الفكر عبارة عن قفزات مثل قفزات العصافير . .
وأنه لا توجد حركة متصلة . . وقالوا : إن العقل بطبعه قادر على تنظيم
الأشياء . . وقادر على خلق العلاقات . .

ولكن أين نجد هذه القدرة على التنظيم . في أى مكان في المخ لا أحد
يعرف .

ولكن ليس من الضروري لنا أن نعرف أين هذا وأين ذاك . المهم لنا هو أن
نعرف كيف نقدر بالعقل على السيطرة على الجسم . وبذلك نحقق لأنفسنا
قسماً من الراحة . . وأن نمسح الزجاج أمام العقل فيرى أوضح وأبعد
وأعمق . .

* * *

نعود مرة أخرى إلى ماتفعله لجماعة « الزن » أو الصوفية في كل الأديان .

انظر إلى واحد منهم . تجده جالساً لا يتحرك . ومطلوب منك أن تفعل
ذلك مرتين في اليوم - هذه أحدث النظريات العلمية المعاصرة .

هناك التأمل الصامت . .

وهناك صلاة القلب . .

فالتأمل الصامت هو أن تجلس . وأن تركز عينيك على أى شىء . حتى

تصبح لا تراه . ولا يهم ما هذا الشيء . بعض الوقت .

أما صلاة القلب فهي : اختر آية كلمة قصيرة . ولتكن : الله . أو : واحد . . وردد هذه الكلمة بلا صوت مائة مرة . . ألف مرة . . وافعل ذلك عشر دقائق . . لاحظ أن تنفسك قد هدأ . . لاحظ أنك قد انصرفت تماماً عن الذى حولك . . لاحظ أن هذا الانصراف هو الذى عزلك عن كل شىء . وأن هذه العزلة هى خروج من الدائرة اليومية لحياتك . وأن هذا الخروج هو الذى أراحك . وأنك إذا اعتدت على ذلك استرحت . وأنك إذا لم تفعل هذا لنفسك وبنفسك فلن يريحك أحد . .

ومن الضرورى أن أذكر لك قصة أمريكية مشهورة لكاتب معروف اسمه سالنجر . القصة اسمها « فرانى . . وزوى » . وفرانى هذه هى البطلة . تقول فرانى عن سبب عذابها وعذاب كل الناس : إنه لشىء فظيع أن يكون الإنسان أوريبياً أو أمريكياً . شىء رهيب ولكننا لا ننتبه إلى ذلك إلا فى مرحلة متأخرة جداً . . تصور أنك يجب أن تجرى . . وأن تنطلق دون حزن . بل وأن تتباهى بذلك . . شىء فظيع أن يكون الإنسان فى حالة سباق مستمر من أجل أن يفعل شيئاً ما ، لعله يكون شخصاً ما ، له مركز ما ، متفوقاً على إنسان ما ، هذه هى فلسفة ما لكل الناس . . وهذه هى حكمة الميلاذ والصراع والحياة والموت بعد ذلك . .

وفى القصة أن فرانى هذه عندما قالت ذلك . . سقطت على الأرض مغمى عليها . وقالوا فى تفسير ذلك : إنها سقطت لأنها كانت حاملاً . ولكن الحقيقة أنه ليس من الضرورى أن تكون الفتاة حاملاً لكى تقع على الأرض ، بل هى وقعت لأن الاستمرار مستحيل . . ولأن هذه الحياة هى إرهاب . .

إرهاب الإنسان لغيره ، أو إرهاب الإنسان لنفسه . . وأن البطلة كان يجب أن تسقط بل تسقط الحياة كلها . . لأنها حياة بلا حياة . . حياة بلا لحظة واحدة من التأمل بل لحظة واحدة يأخذ فيها الإنسان أنفاسه . . أو بعدها حتى ينسى أنه يتنفس . كما يقول ويفعل فلاسفة الزن في العالم كله الآن . .

* * *

يقال إن تلميذين من تلامذة الزن كل واحد منها يتباهى بأستاذه . قال واحد : إن أستاذي يستطيع أن يمد يده عبر الشاطئ فيكتب على ورقة أمسكها بيدي على الشاطئ الآخر ، فقال التلميذ الآخر : إن أستاذي يأكل عندما يجوع ، ويشرب عندما يعطش ويتكلم عندما يسأله أحد . .

وهذا شيء عجيب في هذه الدنيا . فنحن عادة نأكل دون أن نكون جوعى ، ونشرب دون أن يكون هناك عطش ، ونتكلم أو نترك غيرنا يتكلم دون أن نكون في حاجة إلى أن نسمع . . ولذلك غريب أن يأكل الإنسان لأنه جاع ، ويشرب لأنه عطش ، ويتكلم لأن هناك ضرورة . . شيء غريب وعجيب يجرى فوق كتفيك ، ولكننا مازلنا في حاجة إلى أن نعرف - كما سوف نرى .

أناس استطاعوا أن يمشوا على الماء

ملايين الناس اليوم ، ليس عندهم استعداد لأن يموتوا في سبيل الحب . . وإن كانت ملايين أخرى قد ماتت لأنها لم تجد الحب . . فما الذى يجده الناس في الحب ؟ إنهم يجدون « دورا » في لعبة مقدسة . . إذا أعطيتها أصبعك ، وإذا تركت لها ذراعك استولت عليك واستدرجتك إلى حالة لا هى نوم ولا هى يقظة ، لا هى سعادة ولا هى تعاسة ، لا هى حياة ولا هى موت ولكنها حالة يهون معها كل أنواع العذاب . . هذا هو الحب . . أو نوع من الحب . . فهل هو شىء ضرورى لأحد ؟ . .

نعود إلى ما كنا فيه من قبل لكى نذهب أبعد فى فهم هذه القوة العجيبة التى استقرت فى رأسك فى كتفيك وأنت لا تعرفها . ولكن من الضرورى أن تعرفها ، سواء كنت صغيراً أم كبيراً . إن هذه المعرفة هى شرط لسعادتك ، أو شرط لنجاحك إذا كانت السعادة لا تهملك . . فما الذى تراه عندما تشاهد مباراة فى كرة القدم ؟ قبل أن تفكر فى الإجابة عن هذا السؤال أعاجلك أنا بالإجابة : أنت تتفرج على أناس لهم دور . كل واحد له دور فى هذه اللعبة . وهذا الدور مدروس . وهناك أمل قد ألقى عليك . وهناك رغبة فى أعماقك فى

أن تفعل كل ما تستطيع احتراماً لنفسك وحرصاً على تقدير الآخرين لك . هذا هو المعنى الهام جداً . لماذا ؟ لأن هناك أناساً في هذه الدنيا لهم نشاط يروحون ويحيئون . ويتزاحمون ويتساقطون . ولكن ليس لهم دور واضح . لا هم يعرفون ، ولا غيرهم يعرف ذلك . والنتيجة أن حركتهم مضطربة . وأهدافهم غامضة ، ونجاحهم غير مؤكد . وتعاستهم مؤكدة . .

هؤلاء الناس ليسوا في حالة يقظة . وإنما هم كالذين يمشون أثناء النوم . إنهم نائمون ولكنهم يمشون . وهم يمشون ولكنهم نائمون . إن هذه ليست حالة من اليقظة الواضحة . وفي استطاعتك في هذه اللحظة أن تتوقف عن القراءة وتساءل نفسك : هل لهم دور واضح ؟ هل أنت نائم أو يقظان ؟ وإذا عرفت الإجابة فأنت قد واجهت نفسك بالحقيقة . مع أنه من النادر أن يجد الإنسان وقتاً أو شجاعة لكى يواجه نفسه بها لا يجب . وهؤلاء اللاعبون في الملعب أمامك أناس يلعبون جادين ، ويجدون لا عيين ، ولهم أدوار واضحة وأهداف تتعلق بها آمال كل الناس . فالذى يعجبك في هذه اللعبة : هذا الوضوح على أرض الملعب . كل شيء مكشوف . . اللاعبون وحركاتهم وحيلهم . ومعروف مقدماً ما هو المطلوب منهم . . أن لهم أدواراً محددة في هذه الحياة .

* * *

ويستطيع أن تجد سبباً مؤكداً لكل متاعب الناس النفسية والعقلية : هذا السبب هو أن الناس ليست لهم أدوار واضحة في حياتهم . وهم بلا أدوار واضحة لأنهم لا يفكرون بوضوح . وهم لا يفكرون بوضوح لأنهم مرهقون . وهم مرهقون لأنهم لم يعرفوا كيف يستغلون الطاقة الهائلة للعقل الإنسانى .

وهذا العقل وحده هو القادر على إرهاق الجسد وراحته . وهذا العقل لا يستطيع أن يعمل وحده . وإنما يجب أن ندرجه على ذلك . وأنت لا تدريه إلا بالإرادة . . إرادة السيطرة على العقل لكي تسيطر على الجسم فتعلمه الراحة عندما تريد . وتدفعه إلى العمل عندما تشاء . .

وهذا « الترويض » لجسمك عن طريق عقلك هو الذى يشغلنى طول هذه المقالات وعرضها . فأنا وأنت قد استغرقتنا الحياة ، فليس عندنا وقت ولا رغبة فى أن يفتح الواحد منا دماغه ليعرف ما الذى خبأه الله فى هذا الكنز على أكتافنا . .

هناك مئات العلماء يدرسون ويبحثون ويجربون ولكنهم استوحوا علمهم من الهند والصين . واهتدوا إلى أنه مطلوب من الإنسان أن « يهز » جسمه . . أن يزلزل شحمه ولحمه . . حتى يصبح الجسم الإنسانى طيعاً لك . فعندنا فى موالد الأولياء فى مصر وفى كثير من البلاد العربية يلتف الناس فى حلقات الذكر . ويتمايلون على إيقاع الطبول ويرددون كلمة أو كلمتين ساعات طويلة . هذه الصورة لها معنى جديد الآن . إن فى كاليفورنيا فى أمريكا حلقات ذكر وعدداً من المنشدين أساتذة الجامعات قد أمسكوا أجهزة علقوها على رؤوس هؤلاء الذاكرين ليقسوا الضغط ودرجات الحرارة والتوترات العضلية والعصبية . إنهم ليسوا مسلمين ولا مسيحيين ولا يهوداً . . إنهم علماء لا دين لهم إلا توفير الحياة الأهدأ لأى إنسان ، أياً كان دينه . فإذا هدأ الجسم وانهد أيضاً . . شعر الإنسان بنوع من الصفاء العقلى .

ولكن احتياج الإنسان إلى مزيد من الصفاء والجلء العقلى هو الذى جعله يلجأ إلى العقاقير التى تنشط العقل وتوسع حدوده . .

أو بعبارة أخرى إن هذه العقاقير هي التي تضع الإنسان فوق « البساط السحري » فيطير إلى سماوات في الماضي والحاضر والمستقبل . وهذا ما فعله الحشاشون في سوريا وإيران من مئات السنين . . وما فعله كثير من الصوفية عندما عرفوا « القات » في اليمن وعندما عرفوا « القهوة » في الحبشة والسودان . . وعندما عرفوا « الأفيون » في الصين . .

* * *

ولكن الإنسان يستطيع بالإرادة والترويض المستمر أن يحقق المعجزات مثلاً: ذلك الرجل القروي البسيط الأرمني الأصل واسمه جورجيف . لقد سارت وراءه الناس بالملايين في تركيا وأرمينيا وفرنسا وأمريكا ، إنه عامل في السكك الحديدية . وتاجر أحياناً . ولا يعرف القراءة والكتابة وإن كان أملي عشرات الكتب على التلاميذ . مات في بيته في باريس عدد من الأدباء والعلماء . ماتت في بيته الكاتبة كاثلين مانسفيلد . . هذا الرجل له دور . وهذا الدور له هدف . وهذا الهدف : ألا يكون الإنسان عبداً لعادة من العادات .

لأن الإنسان يعيش بحكم العادة . أي له مجموعة من العادات . يلجأ إليها ويستريح معها في النهاية . فالإنسان هو ابن العادة . وكما أن الإنسان حلقة من سلسلة في أناس سبقوه . فعاداته حلقة في سلسلة من أفعال قام بها واستراح إليها . ويقول جورجيف أيضاً : إن الذي يدخن السجائر عبد لها ، والذي لا يدخن السجائر عبد لعدم التدخين . . فالإنسان يجب ألا يكون عبداً لكلمة : نعم . . ولا عبداً لكلمة : لا ! وإنما يجب أن يدخن من حين إلى آخر . . فلا خوف عليه . . ويجب ألا يكون هناك خوف .

أو بعبارة أخرى : يجب ألا يكون صعودك اضطرارياً ، وألا يكون هبوطك اضطرارياً . . وإنما انطلق على راحتك . . ودون عنف ودون إضرار بالآخرين . . أو إضرار بنفسك أولاً وأخيراً .

وكان من عادة جورجيف أن يروى لتلامذته هذه القصة : اعتاد رجل أن يدخن كثيراً . وأن يمتنع عن التدخين فجأة . وكان الناس يقولون : هذا الرجل ليس له مزاج . فما حاجته إلى التدخين ؟

يقول جورجيف : هذا بالضبط ما يجب أن يكون عليه الإنسان بشرط ألا يسرف على نفسه في التدخين أو في الامتناع عن ذلك . . في الأكل والشرب والعمل والتأمل . . المهم أن تكون عادلاً . . أو معتدلاً . . أو متوازناً . . فالحكمة العظمى هي الاعتدال . وهي أصعب المعاني والحالات التي شعر بها الإنسان . وعاش ومات دون أن يحققها . .

وهذا الرجل جورجيف يستمد علمه وحكمته من كثير من الصوفيين مثل جلال الدين الرومي . وعلى لسانه تجيء أسماء لبعض الطرق الصوفية الإيرانية . ولكن المهم هو أسلوب هؤلاء الناس في ترويض النفس الحبيسة في قفص الصدر ووراء جدران من الشحم واللحم وأنهار من الدماء وعواصف من الرغبات وأشباح من المخاوف . هذا هو الهدف . وهذا الدور المطلوب أيضاً . وبعد ذلك في استطاعة أي إنسان أن يحقق في دنياه ولدنياه ما يشاء . وكل الذين نجحوا في هذه الحياة ، هم أقدر الناس على استخلاص قدراتهم من وحل البدن .

فهل هذا دين جديد ؟ من المؤكد أنه ليس كذلك . وإنما هو دعوة إلى أن تلتفت إلى نفسك قليلاً . فليس من السهل أن يمشى الإنسان مغمض

العينين . ولا من المعقول أن تنطوى على عقلك . ولكن الاعتدال هو المعقول . والاعتدال أن تكون لك لحظات مواجهة . تواجه فيها هذا الذى تهرب منه - أرجو أن تعيد قراءة هذه العبارة وأن تكررها لنفسك كثيراً . . فهذا هو المفتاح الصغير الذى يحرص عليه الصوفيون وعلماء الإلكترونيات الذين سجلوا نشاط الإنسان جسمياً وعقلياً في لحظات الصفاء النفسى والجلاء العقلى . .

وقد فهم الناس . ولكنهم عندما يطبقونه لا ينجحون تماماً . . ففى أمريكا تجد الملاعب قد ألحقت بالمصانع وبالبنوك . ففى البنوك تجد ملاعب كرة التنس ومناضد البنج بنج . والغرض هو أن ينصرف الموظفون إلى الترويح عن النفس بتحريك الجسم وإغراق العقل فى متابعة الكرة . . أى تشتيت العقل بعيداً عن الأرقام والتحويلات والشيكات . أى شغل العقل بشيء آخر . . أى تحويل مسار العقل إلى ملاحقة أهداف أخرى لذيدة وتافهه أيضاً . وهذا أسلوب سليم . ولكنه ليس إلا لحظة واحدة . وليس إلا درجة من درجات الابتعاد عن الهموم . . أو درجة من درجات الصعود الاضطرارى للعقل . ولكن المطلوب . أكثر من ذلك وأعمق . .

إن ألف ليلة تحدثت عن علاء الدين والمصباح . فعلاء الدين لا يكاد يضغط على المصباح بأصابعه حتى يكون لعلاء الدين ما يشاء . . يرى ما يشاء ويجد ما يشاء . إن المصباح فوق أكتافنا ، ولا بد أن نراه وأن نضغط عليه لكى نجد ما نريد .

ولكن المشكلة دائماً أننا نبحث عن الشيء الذى نريده فى مكان آخر . أننا نترك المكان الحقيقى ونفتش فى المكان غير المناسب . ان الراحة ليست فى كرة القدم أو كرة الطاولة . وليست فى مكان العمل . وإنما يجب أن نفعل شيئاً آخر

وقبل أن أحدثك عن هذا الشيء الآخر والمكان الآخر والمكان الآخر أروى لك قصة الشيخ نصر الدين . .

يقال إن الشيخ نصر الدين قد أضع مفتاح بيته . . وراح يبحث عنه بالقرب من أحد فوانيس الشارع الذى يسكن فيه . فجاءه أحد رجال الشرطة يسأله : عن أى شىء تبحث ؟ قال : المفتاح .

- وأين سقط منك ؟

فى أول الشارع

- ولكن لماذا تبحث عنه هنا ؟

- لأن أول الشارع مظلم . . وهنا نور !

وليس الشيخ نصر الدين وحيداً فى ذلك . فنحن جميعاً نبحث عن المفتاح . ولكن ليس فى المكان المناسب . . والمكان المناسب فى البيت . . أو فى بيت بعيد عن البعيد . عليك أن تجلس هادئاً وأن تأتى بأية حركات رياضية أو منظمة على إيقاع موسيقى . . أو أن تشارك فى حلقات الذكر . . إنهم فى أمريكا وفرنسا وبريطانيا يفعلون ذلك من أجل الصحة العقلية وهى مناسبات لكى تسيطر على جسمك بعقلك .

* * *

والممارسة أهم جداً من قراءة أى شىء عن ذلك . . والصوفية أصحاب «تجربة» أو أصحاب . «محنة» أو «معاناة» أو «مجاهدة» . . ثم هذه القصة . يقال إن أحد الصوفية كان يتمشى متأملاً على شاطئ بحيرة . ويقال

إنه سمع صوتاً يجيء من بعيد يتغنى بشعر صوفى . وضاق الصوفى بهذا الصوت القبيح والذي يخطئ أيضاً في نطق الكلمات . فركب زورقاً وذهب إلى الرجل الذى يغنى . وقال : يامولانا أنت لا تحسن النطق .

فقال له الرجل : علمنى ياسيدى .

وعلمه كيف ينطق وكيف يتغنى .

وتركه إلى زورقه وعاد إلى الشاطئ . وأثناء العودة فوجئ بالرجل يناديه قائلاً : نسيت . . . لقد نسيت . . علمنى من جديد . .

ولكن الصوفى لاحظ أن الرجل يمشى على سطح الماء . وأصابه ذهول ثم ركع أمامه وهو يقول : بل علمنى أنت ياسيدى ومولاي وتاج رأسى وقررة عيني فى الحياة؟

إنه إذن ليس العلم ، ولكنها التجربة . . فالرجل الذى يعلم لا يمشى على الماء . ويمشى على الماء من كانت عنده تجربة نفسية ومعاناة وجدانية فصارت له قدرات خارقة - والقصة ترمز إلى هذا المعنى !

* * *

يقول جورجيف فى عبارة أبسط ، كل جسم له ذبذبة . أو له عدد من الهزات أحصاها العلماء المؤمنون الذين يعيشون معه وحوله . فإذا استطاع الإنسان أن ينقص عدد الذبذباب هذه إلى أدنى حد استراح . والراحة مطلوبة . والراحة مفقودة . وهى نادرة . وليس فى هذه الدنيا إلا عدد قليل يعرفونها بعض الوقت . فالإنسان الذى لا يعرف الرياضات النفسية هو الذى لا يعرف ضبط النفس وترويضها - عدد ذبذباته ٩٦ وهى صدى لطمعه

ومخاوفه ورغبته في منافسة الآخرين والانتقام منهم . . . والإنسان في حالة صفائه العادى ذبذباته ٤٥ أى عندما يعيش دون حاجة إلى الكلمات . . . وإنما يعيش في تأمل هادئ . . . ولكن إذا استطاع الإنسان أن يحقق « حالة البركة » أو « تمام الرضا » أى « جوهر الصفاء » - فذبذبتة ١٢ . . . وإذا بلغ شاطئ النور والمعرفة ، ولم يعد في حاجة إلى أن يقال له أو يقول فذبذبتة ٦ . . . ولا بد أن الأنبياء وعباد اللّٰه الصالحين ذبذباتهم ٣ . . . ولو سجلنا ذبذبات المجتمع في أية لحظة . . . أو أى عدد من الناس معاً لوجدناها ٦٠٠ . . .

ولن يتيسر للإنسان السيطرة على جسمه واستخراج طاقات عقله العظمى إلا بالرياضة ستة أيام في الأسبوع . . . ثم تليين الجسم وتطويره ساعات كل يوم . . . وإلا بالامتناع عن النشويات والحلويات والخمور والتدخين . . . وفي استطاعة كل إنسان أن يفعل ذلك من نفسه ودون أستاذ ، إلا إذا كانت آماله في الصفاء النفسى والجلء العقلى هائلة . . . وإلا إذا كان يريد أن يكون صوفيّاً أو زاهداً في هذه الدنيا - وإن من الضرورى أن يزهد الإنسان بعض الوقت في بعض دنياه !

وإذا كان عقلك روض جسمك ، فلا تنس أن جسمك هو الذى يروض عقلك أيضاً - فأنت السيد والخدام ، وأنت العصا وأنت المضروب . . . وأنت المنتصر والمنهزم معاً . . . فأنت في صراع من أجل أن يتحقق الانسجام بين الذى تلمسه بيدك وبين الذى ينقل إليك اللمس ومعنى اللمس ومعنى هذه الحياة . . . في حدودها الضيقة : أى جسمك . . . أو حدودها الواسعة : أى مجتمعتك . . . وحدودها المطلقة : أى فكرك !

لا تظن أن هذه خاصة بأناس في الشيخوخة . أو أناس على المعاش . . .

وإنما هي تعنيك في أية سن أنت . فالإنسان الذي يرى أناساً يجرون في الشارع ثم يترك ما في يده ويلحق بهم دون سبب واضح . ليس واعياً . .

إن العدوى قد انتقلت إليه . . إن هذا الإنسان هو عبد لما يراه . . عبد لهذه العبارة : الناس يجرون في الشارع . ولا بد أن تجرى معهم ووراءهم . .

وليس من العقل أيضاً أن ترى الناس يجرون ولا تلتفت إلى ذلك كأن شيئاً لم يحدث . . وإنما العقل هو أن ترى وأن تتأمل وأن تتوقف طويلاً أو قصيراً . . المهم أن تتوقف . وأن تفعل شيئاً .

إن أكثر الناس يفعلون بالضبط ما يفعله بطلا مسرحية « في انتظار جودو » التي ألفها صمويل بيكت . ففي نهاية كل فصل تجد أحدهما يقول للآخر : هيا بنا ننهض . . ويرد عليه الثانى : نعم . هيا بنا ننهض . . ثم لا يتحركان !

إن هناك أشياء كثيرة تستأهل أن تنهض من أجلها ووراءها . . إن هناك قدرات عقلية تجعل الإنسان يرى الإنسان أبعد وأعمق . . يرى الغد وأبعد - كما سوف نرى !

فليس عندك وقت ولا صبر ولا رغبة

عند مدينة طيبة وقف وحش يعترض
الناس . الوحش له رأس وصدر امرأة وجسم
كلب ، وذيل أفعى ، ومخالب أسد وصوت إنسان
الوحش اسمه أبو الهول . وهو يسأل الناس أن يحلوا له
لغزاً . والذي لا يقوى على ذلك يقتله فوراً . اللغز هو:
ما هو الحيوان الذى يمشى على أربع فى الصباح ، وعلى
اثنتين فى الظهر ، وعلى ثلاث فى الليل ؟ !

وقتل الوحش مئات من الناس . حتى أعلن الملك أن التاج وابنته الجميلة
مكافأة لمن يقضى على هذا الوحش . والقضاء عليه هو أن يحل الإنسان هذا
اللغز . فإذا حله ألقى أبو الهول بنفسه إلى الهاوية . وجاء الفتى أوديب وقال
له : عرفت حل اللغز . . إن هذا الحيوان هو الإنسان : الذى يحب على أربع
فى طفولته ، ويمشى على رجلين فى شبابه ، ويتوكأ على عصا فى شيخوخته . .
وانتحر أبو الهول !

* * *

ولو كان أبو الهول هذا حيًّا اليوم لجعل الفوزرة أصعب فقال : ما هو هذا

الحيوان الذى يمشى بلا رجلين ويطير بلا جناحين ، ويستحضر الماضى والمستقبل دون أن يتحرك من مكانه ، ويرى ما وراء الجدران ، ويسمع ما لا وجود له ويلوى الحديد دون أن يلمسه ، ويكتشف الماء والبتروى بأصابع قدميه . . من المؤكد أن هذا الحيوان هو الإنسان !

ففى استطاعة بعض الناس أن ينهض من فراشه ليلا فى حالة فزع يقول لك : لقد أصيب أخى فى حادث سيارة !

ويكون أخوه هذا فى أمريكا وبينهما ألوف الأميال . وتجىء البرقيات تؤكد هذا الحادث . . أو تنهض الأم من فراشها فى حالة فزع وتنطلق إلى الغرفة الأخرى لتدرك طفلها قبل أن يقع من السرير . . أو يمشى إنسان فى الصحراء ويمسك عصاه ويدق الأرض ويقول : هنا ماء عذب . . أو هناك بتروى على بعد مئات الأمتار . . ويجىء من يحفر الأرض فيجد الماء أو البتروى !

فما هذا الذى فى « داخل » الإنسان . . وأين هو هذا « الداخلى » . . أين فى عقله ؟ فى قلبه ؟ فى مكان ما من جسمه . . أو مكان ما فوق جسمه أو حوله . . ما هذا الذى يراه الإنسان إذا تعاطى عقاقير الهلوسة . . ما هذه الأشجار والحيوانات . . وأين هذه الأنهار . . وكيف أن الأشياء يتحول بعضها إلى بعض فيكون الماء حيواناً والحيوان جبلاً والجبل نهراً والكل أنعام موسيقية . . كيف تتحول الصور إلى أصوات ، والأصوات إلى صور . أين ؟ وكيف ؟

* * *

وإذا تعاطى الإنسان حبوب « توسيع المخ » وإلقاء حدود العقل إلى الوراء تظهر حيوانات متوحشة وكهوف ، وأناس بدائيون . . من أين جاءت وكيف ولماذا ؟ هل العقل الإنسانى غابة مليئة بكل أنواع الوحوش ، والنجوم لها عيون

من نار عيون بلا رءوس بلا أجسام؟ هل هو محيط وفي المحيط حيوانات بحرية تأكل بعضها البعض وتأكل الإنسان في النهاية . . هل العقل الإنسانى غابة برية بحرية جوية متجمدة ، ولكن الحياة تنفجر فيها جميعاً عند الخوف والغضب؟

* * *

إن علماء النفس وعلماء الروح هم رواد الفضاء الداخلى للإنسان . . وككل رواد الفضاء لابد لهم من صواريخ تحمل سفنهم إلى الفضاء الخارجى . . أو الفضاء العميق للعقل الإنسانى . .

إننا فى حياتنا العادية لاندرک هذا كله . . وإنما هى لحظات أو ساعات ننتلق فيها إلى أبعد مما اعتاد العقل فى نشاطه اليومى . .

شئ غريب يحدث لنا عندما يكون كل ما حولنا هادئاً مظلماً . . ضع رأسك على المخدة فى هدوء وظلام تام . فإذا لم يجئ النوم فما الذى ترى أو يترأى لك . . ما الذى تسمع أو تخيل لك ذلك . . من أين جاءتك هذه الصور وهذه الشعاعات الهاربة هنا وهناك . .

لقد أجرى علماء النفس تجاربهم على أسرى الحرب الكورية . . ليعرفوا بالضبط ما هى طبيعة عمليات غسل المخ . وغسل المخ هذا له أشكال عديدة من بينها أن يوضع الأسير فى زنزانه وحده . وهو وحده مع الصمت والظلام والعزلة وكل مخاوفه القديمة ، وكل مخاوف الإنسانية . . وهذا العزل التام هو الذى يطلق عليه تلك الوحوش الكاسرة فى أعماقه نهارة أمامها ، أو أمام نفسه . وبعد ذلك يسهل تشكيله وتطويعه واعترافه بكل شئ !

شيء آخر عجيب يحدث للجنود الذين يرابطون في أماكن نائية وحدهم في الصحارى أو في القطب الشمالى أو في البحار الجنوبية . هؤلاء الجنود يعجزون عن رصد الطائرات المعادية - وعلى الرغم من أن الطائرات المعادية تظهر على شبكات الرادار ، فإنهم لا يرونها . لماذا ؟ لأن العقل الإنسانى إذا لم يجد ما يشغله . وإذا لم يكن هذا الذى يشغله نوعاً مثيراً منعشاً ، فإن هذا العقل يضطرب . فإذا نظرنا إلى ما يفعله الجندى الجالس ليلاً ونهاراً فى صمت وعزلة وظلام أمام شبكة الرادار فى انتظار بقعة بيضاء تظهر عليها . . وأن هذا العمل يستمر أياماً ، أدركنا أن العقل لا بد أن يختل إذا تركزت كل قدراته الهائلة على رؤية بقعة متحركة ، تجيء أو لا تجيء !

وكذلك سائقو اللوريات فى الشوارع الطويلة . كثيراً ما اصطدمت سياراتهم . ليس فقط لأنهم ينامون من التعب . ولكن لأنهم يرون أشياء غريبة تقفز أمامهم . ويحاولون تفاديها فتقع الحوادث . مع أن هذه الحيوانات التى يرونها ، لا وجود لها .

وفى بحث أصدرته جامعتا السوربون وهارفارد عن متاعب الطيارين وسائقى السيارات والجنود فى المناطق المنعزلة جاء : أن سائقى اللوريات يرون فجأة ما يشبه العنكبوت الأحمر على الزجاج ، ويرون خيولاً وأبقاراً وكلاباً على الطريق . . مع أنه لا وجود لها !

وهذا بالضبط ما يحدث للرهبان أيضاً فى صوامعهم . فالراهب يقضى الأيام الطويلة يشرب السوائل . ولا يتحرك ولا يسمع شيئاً . وفجأة يخيل للراهب أنه رأى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على باله قط . ويعرف الراهب أن هذه جميعاً نتيجة طبيعية للعزلة أو للصفاء النفسى ،

أو تجريد نفسه من كل ما حوله مما يلفت العين والأذن والأنف والأصابع . .

* * *

وجاء في بحث جامعتى هارفارد والسوربون : أن أكثر متاعب الناس في العصر الحديث سببها : الشعور بالعزلة والصمت الرهيب . ولذلك فإن كل وسائل النشر والتسليية في العالم قد اتخذت لها عدواً واحداً لا شريك له هو : الملل . . فهي تقضى على الملل بكل القصص والمسلسلات البوليسية والأغاني والإعلانات . وقد أسرفت شركات التلفزيون في التنبيه العنيف حتى ليخيل إلى من يراها أن الذين يظهرون على الشاشة يوشكون أن يمدوا أيديهم فيصفوا المتفرجين أو يطلقون سيقانهم ليركلوهم حتى لايناموا . . أو حتى لا يستسلموا للملل .

ففى العصر الحديث نجد أن الإنسان ممنوع من أن يكون وحده في صمت . ممنوع أن يتأمل . وإنما المطلوب هو شفاؤه من أعراض الانفراد والفردية والتأمل ، وإنما يجب أن يكون مع الناس ومثلهم تماماً !

هناك تجربة معروفة في أمريكا لطبيب اسمه د . للى . هذا الرجل أعطى لنفسه بعض العقاقير ، التى توسع حدود المخ وأوى إلى غرفة مظلمة هادئة : فلا شىء يراه ولا شىء يسمعه . وظل أياماً وكان يجلس إلى جواره طبيب آخر وفي نفس الظروف . وفي أحد الأيام سأل أحدهما الآخر : هل تعتقد أننا متنا ؟

ومما قاله الطبيب للى إنه أحس أن جسمه قد خف وزنه . وأنه هو انفصل عن الجسم . . وهو لايعرف بالضبط ما الذى انفصل . . وإنما كأنه هو كان حبيس زجاجة . انفتحت الزجاجاة وطار الدخان . ولكن ما تزال له صلة

بالجسم . . بل إنه كان يحس أنه ينظر إلى جسمه . . وقد تكوم في إحدى
الغرف المظلمة . ولا يعرف ما هي بالضبط العلاقة التي تربطه بهذا الشخص
الذي اعتاد النظر إليه . . ثم لاحظ أنه يستطيع أن يتحرك في أى اتجاه وأن
يذهب إلى الماضى فيرى نفسه طفلاً . وأن يتجه إلى المستقبل فيرى نفسه
يموت تحت عجلات إحدى السيارات - وهذا ما حدث له بعد ذلك بعشرة
أعوام . ويقول د . للى : إن الجديد عليه تماماً أنه رأى اثنين من الناس . . أو
من الملائكة أو من الشياطين أو من الأرواح . . لا يعرف . إنها اثنان بلا رأس
ولا عنق . . ولكن لهما عينان مطبقتان . . وقريبان منه وينصحانه معاً بأن
يفعل كذا أو لا يفعله وهذان الاثنان عن يمينه وشماله . . وعندما دخل
جسمه هو ، تماماً كما يدخل السائل الموجود في حقنة إلى جسم الإنسان . . أو
كما تدخل أنت في ملابسك . . اختفى هذان الشيطان اللذان لا وزن لهما ولا
لون . . وإنما كالدخان الأبيض الشفاف . .

وفي تجربة أحد الرهبان الهنود أنه سمع أصواتاً عجيبة من بينها : لا تدخل
هذه الغرفة . . لا تطلب التليفون رقم كذا . . الجماعة سافروا . . ابنهم الوحيد
مات . .

ومن العجيب حقاً أن هذا الراهب كان على جبل الهملايا بالهند . . أما رقم
التليفون الذى يتحدث عنه والذى قال إنه يدق ولكن أحداً لايرد فهو تليفون في
عيادة د . للى . . . وأما الابن الوحيد الذى توفي فهو د . للى أيضاً . . وهذا
الراهب يسمع ذلك في صومعته على بعد عشرة آلاف كيلو متر . . وهو لم ير
د . للى هذا من قبل !

كيف تكون الرؤية عن بعد ؟ وكيف يكون السماع عن بعد ؟ وما

هذه القوة الهائلة الموجودة في العقل الإنساني عند بعض الناس ؟

* * *

ثم أخيراً تجربة ذلك الشاب يورى جيلر إنه قادر على أن يلوى المعادن جميعاً بمجرد أن يمر بأصابعه عليها . . وهو يطلب عادة إلى أى إنسان أن يمسك شوكة أو سكيناً ثم يلعب هو بأصابعه من بعيد ، فإذا المعادن تلتوى . . والعجيب أنه يستطيع أن يفعل ذلك عن طريق التلفزيون أيضاً . . فيركز عينيه على المشاهدين الذين لا يراهم - وهذا عجيب جداً - فإذا بعض الخواتم أو الملاعق تلتوى . .

وقد ذهبت سويدية إلى القضاء تطالب بإلقاء القبض عليه لأنها حملت . وكانت قد قررت ألا تحمل . أما الذى حدث فإن جيلر هذا استطاع أن ينظر إليها ويمر بأصابعه من بعيد على جسمها ، فالتوى اللولب الذى وضعته لمنع الحمل ، فحملت !

فهل هو العقل وحده ؟ هل هى خلايا العقل التى تكمن فيها هذه القدرات الخارقة ؟ هل هو الإنسان وحده الذى يملك كل هذه القدرات الإبداعية ؟

إذن كيف نفسر هجرة الطيور ألوف الأميال من مكان إلى آخر دون أن تخطئ ودون أن تكون قد ذهبت إليه قبل ذلك . . إن طيور السماء التى تجئ إلى شواطئ الإسكندرية وشمال الدلتا تهاجر من أوروبا . . أكثرها لم يجرى إلى مصر قط . . ولكنها تجئ . كيف ؟ هل تهتدى بالنجوم ؟ هل بمغناطيسية الأرض ؟ هل بملوحة بخار الماء ؟ هل بشكل الأرض ؟ لا أحد يعرف بصورة مؤكدة .

وكذلك الأسماك في المحيطات كيف تهاجر ألوف الأميال دون أن تخطئ . . .
بأى شيء تهتدى ، على أى شيء تعتمد . . . إن أحداً لا يعرف . . . فأين تكمن
هذه القدرة على الاتجاه ؟ وأين تكمن تلك الساعات التى تدق فى رءوس
الطيور والأسماك تعلن موعد الهجرة وموعد العودة إن كتبت لها الحياة . . . لقد
حاول العلماء وضع صفائح مغناطيسية على الطيور والأسماك لكى تشوش
عليها . . . ولكن الطيور والأسماك وصلت فى نفس الموعد إلى نفس المكان .

أبسط من ذلك : ما هو هذا العقل الموجود فى الحيوان المنوى ويجعله يتحرك
ليبنى إنساناً كاملاً فيه صفات الأم والأب . . . ما الذى يجعل خلية مختلفة فى
حركتها عن خلية القلب و خلية الكبد ؟ من الذى يفرز هذه الخلايا ؟ من الذى
يحركها جميعاً فى تناسق رائع . . . أين هى القيادة . . . ما هو ما يستر ملايين
الملايين من خلايا الجسم الإنسانى . . . ينظمها ويوجهها ويخصصها وينميها
ويجمعها فى هذا الإطار المعجزة . . . وكذلك خلايا النبات . كيف ؟

* * *

هل كان من الضرورى للعقل الإنسانى أن يبدأ بأبسط الأشياء ليعرف
أصعبها . يتساءل عن سر الخلية ثم بعد ذلك يتجه إلى سر العقل وسر
الكون . . . هل الإنسان تجاوز حدود قدراته ؟ نعم ؟ الإنسان حيوان أكبر مما
يتصور . . . الإنسان حيوان يفرز أعقد الأسئلة وأكثرها غموضاً . . . فالإنسان
يتساءل : أين هو الله ؟ مع أن الإنسان لم يجب بعد عن ما هى الخلية . . .

هل من الضرورى أن يقف الإنسان عند حدوده الجسمية . . . هل يقف عند
« الجزمة » كما تقول الأسطورة اليونانية . يقال إن فناً اسمه ابليس كان يرسم
لوحاته ثم يتوارى خلفها لسمع ما الذى يقوله الناس عنه وعنهما . وفى يوم جاء

صانع أحذية . ونظر إلى اللوحة فوجد أن الحذاء أكبر من القدمين . فقال :
عيب اللوحة أن الذى رسمها لايفهم فى صناعة الأحذية . .

وفى اليوم التالى عاد صانع الأحذية ليجد أن الفنان قد أصلح الحذاء . فقال
صانع الأحذية : الحذاء الآن أحسن . . ولكن لون الشعر لايعجبني ! .

وهنا صرخ الفنان وراء اللوحة وهو يقول : كفى ! لا ترتفع عن الحذاء من
فضلك اعرف حدودك !

ولكن الإنسان لا يعرف له حدوداً . . لأن العقل بلا حدود . وحيرة
الإنسان بلا نهاية ولكن الذى يبهر الإنسان ليس خارجاً عنه إنه هنا فوق كتفيه
فى هذه الغرفة المظلمة التى هى مصدر النور لحياتنا : هذا الرأس وما به من مخ
أو من عقل أو من وجدان أو حكمه . .

أيها الإنسان أنت أكبر وأعظم وأروع مما تتصور ولكنك لا تدرى . . فلا
عندك وقت ولا عندك صبر ولا لك رغبة . فأنت ضحية دنياك الضيقة !

فهرس السلسلة الثانية

نعتذر عن أدراس كل أسماء الكتب ، وليس كتب السلسلة الثانية فقط .

المؤلف	الكتاب
أ. محمد حسنين هيكل . أ. محمد حسنين هيكل . أ. مصطفى أمين . أ. وجيه عتيق . أ. أنيس منصور . أ. انيس منصور . أ. أنيس منصور . أ. أنيس منصور . أ. أنيس منصور . تشارلز ديكنز . تشارلز ديكنز . تشارلز ديكنز . هـ. ج. ويلز . مكتبة الأسرة بمصر . جيمس برستيد . ريتشارد دوكنز . ستيفن هوكنج . أ. مصطفى محمود .	- خريف الغضب . - أحاديث في العاصفة . - سنة الثالثة سجن . - الملك فاروق وألمانيا النازية . - أعجب الرحلات في التاريخ . - مواقف . - القوة الخفية . - حول العالم في ٢٠٠ يوم . - لعنة الفراعنة . - الذين عادوا من السماء . - الآمال الكبرى . - ديفيد كوبر فيلد . - ترنيمة عيد الميلاد . - الرجل الخفي . - المختار من القصص العالمية . - فجر الضمير . - رجل الساعة أو الجديد في التطور الطبيعي .. - تاريخ موجز لزمان . - اينشتين والنسبية .

مختارات من الكتب

المختار

الكتاب

<p>ضد التبجح . رسالة لم تعد لنشر أصلا .</p> <p>قصة أيام المظاهرات .</p> <p>بعض النوادر الجميلة التي وردت فيه .</p>	<p>- (بحثاً عن عالم أفضل) . للفيلسوف \كارل بوير .</p> <p>- (تاريخ حياة أحد اللصوص) . أحسان عبد القدوس .</p> <p>- (نوادر وطرائف من الصين العظيمة) . ترجمة إبراهيم البشمي</p>
--	---

للحصول على أى من الكتب السابقة ، بالرجاء زيارة هذا الموقع المؤقت :

www.geocities.com/theknowledge_walls

ولتواصل معنا :

Theknowledge_walls@yahoo.com